الفَصْلُ الثَّاني

خُطَبٌ سِياسِيَّةٌ لِعُمّالِ بَني أُمَيَّةَ

(١) خُطَبٌ للعُمّالِ من بني أميّةَ

١ـ خُطْبةٌ لِعُتبةَ بنِ أبي سُفْيانَ بمكّةَ

الكامل للمبرد ٤:١٠٩
والعقد٤:١٣٩
وأمالي القالي١:٢٣٦

خطبَ عُتْبةُ بنُ أبي سُفْيانَ النّاسَ بمكّةَ في مَوْسمِ الحجِّ سنةَ إحْدَى وأرْبَعينَ، وعَهْدُهم حديثٌ بالفِتْنةِ بين عليٍّ ومعاويةَ، فاسْتفتح ثم قال:

«أيُّها النّاسُ، إنّا قد وَلِينَا هذا الموضعَ الذي يُضاعف ا لله فيه للمحسن الأجْرَ، وعلى المُسيء الوزْرَ[١]. فلا تَمُدُّوا الأعْناقَ إلى غَيْرنا، فإنّها تَنْقَطِعُ دونَنا، ورُبَّ مُتَمَنٍّ حَتْفُهُ في أُمنيّته. اقْبَلوا العافيةَ ماقَبلناها منكم وفيكم، وإياكم و«لَوْ»، فقد أتْعَبَتْ مَنْ كان قبلَكم، ولن تُريحَ مَنْ بعدَكم. فأسْألُ ا لله أنْ يُعين كُلاًّ على كلٍّ».

٢ـ خُطْبةٌ لِعُتْبَةَ بن أبي سُفْيانَ بمصرَ

اللسان: خمس
والعقد٤:١٤٠

كان عُتْبَةُ بنُ أبي سُفْيانَ من أفْصَح النّاس، وله خُطْبَةٌ بليغةٌ في نَدْبِ النّاسِ إلى الطّاعةِ، خطبَها بمصرَ، فقال:

«ياأهْلَ مصرَ، قد كنتم تُعْذَرُونَ[٢] ببعض المَنْع[٣] منكم لبعض الجَوْر عليكم. وقد وَليكُم مَنْ يَقُولُ بفعْلٍ، ويَفْعَلُ بقَوْلٍ[٤]، فإنْ دَرَرْتُمْ[٥] له مراكُمْ[٦] بيده، وإن

---

(١) الوِزْرُ: الذّنْبُ والإثْمُ.

(٢) تُعْذَرونَ: تُنْصَفُون، يقال: أمَا تَعْذُرني من هذا: بمعنى أمَا تُنْصِفني منه.

(٣) المَنْع: يعني امتناعَهم عن أداءِ الخَراج.

(٤) يَقُولُ بفعْل، ويَفعَلُ بقوْل: أي: إذا قال فَعَلَ، وإذا فَعَلَ كان قد أخْبَرَ أو أنْذَرَ. يعني أنه يَفي بما يَعِدُ، ولا يَغْدِرُ بأحَدٍ.

(٥) دَرَّتِ الناقةُ: كثُرَ لَبَنُها وسالَ إذا حُلِبَتْ. ودَرَرْتُمْ له: على المثلِ بذلك، أي: اسْتَقَمْتُمْ، أي أطَعْتُمْ وانْقُدْتُمْ.

(٦) مَرَى الناقةَ: مَسَحَ ضَرْعَها لِتَدِرَّ. ومَراكم بيدِه: رَفِقَ بكم، أي رَقَّ لكم وتعطّف عليكم.

اسْتَعْصَيْتُمْ[١] عليه مَراكُمْ[٢] بسيفه، ورجا في الآخر من الأجر ما أمَّلَ في الأوَّل من الزَّجر[٣]. إنَّ البَيْعَةَ متابَعَةٌ[٤]، فلنا عليكم الطَّاعةُ فيما أحْبَبْنَا، ولكم علينا العَدْلُ فيما وُلِّينا، فأيُّنا غَدَرَ[٥] فلا ذِمَّةَ[٦] له عندَ صاحبِهِ. وا للهِ ما نَطَقَتْ[٧] به ألسِنَتُنَا حتى عَقَدَتْ[٨] عليه قلوبُنا، ولا طَلَبناها منكم حتى بَذَلْناها لكم نَاجزاً بناجزٍ[٩]» .

فقالوا: سَمْعاً سَمْعاً، فأجابهم: عَدْلاً عدلاً!

٣ـ خُطْبَةٌ لِعُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيانَ بِمِصْرَ

العقد ٤: ١٤٠

وعيون الأخبار ٢: ٢٤٠

قَدِمَ كِتابُ معاويةَ إلى عُتْبَةَ بمِصْرَ: إنَّ قِبَلَكَ قوماً يَطْعَنُونَ على الوُلاةِ، ويَعِيبُون السَّلفَ، فخطَبَهم فقال:

« يأهلَ مِصْرَ، خَفَّ على ألسنتِكم مَدْحُ الحقِّ ولا تَفْعَلونَهُ، وذَمُّ الباطل وأنتم تَأْتُونَهُ، كالحِمار يَحْمِل أسفاراً، أثْقَلَهُ حَمْلُها، ولم يَنْفعه عِلْمُها! وأيمُ ا لله، لأُداوِيكم بالسَّيفِ ما صَلَحْتُمْ على السَّوطِ، ولا أبلغُ بالسَّوْطِ ماكَفَتْنِي الدِّرَّةُ[١٠]، ولا أُبْطِئُ عن الأولى مالم تُسْرِعوا

---

(١) اسْتَعْصَيْتُمْ عليه: خَرَجْتُمْ عن طاعته.

(٢) مَراكم بسَيْفِهِ: اسْتَخْرَج دماءكم بسيفِهِ واسْتَدَرَّها، أي: حَمَلكم على الطَّاعةِ بالسَّيْفِ، وأخذكم بالشِّدةِ والعُنْفِ.

(٣) الزجر: النَّهْيُ والمَنْعُ والانتهار.

(٤) المتابَعةُ: المشايعة والموافَقة والمُطابقة.

(٥) غَدَرَ به: نكثَ عَهْدَهُ ولم يَفِ به.

(٦) الذِّمة: العَهْدُ والأمان والضَّمانُ والحُرْمَةُ والحَقُّ.

(٧) نَطَقَتْ به ألْسِنتنا: تَكلَّمنا به وقُلْناه، أي جَهَرْنا به وأعلنَّاه.

(٨) عَقَدَتْ عليه قُلوبنا: لَزِمْنَاهُ واتَّبعناهُ، أي ثَبَتْنا عليه وصَدَّقْناهُ.

(٩) من أمثالهم: (ناجزاً بناجز)، أي: يداً بيد، وعاجلاً بعاجلٍ، وحاضراً بحاضرٍ. وناجزاً في المثل مَنْصوبٌ بفعلٍ مُضْمرٍ، أي: أبيعُكَ ناجزاً. (انظر مجمع الأمثال ٣: ٣٨٩، واللسان: نجز).

(١٠) الدِّرَّةُ: عَصَا السُّلْطانِ التي يَضْرِبُ بها.

إلى الأخرى. فالزمُوا ما أَمَركم ا للهُ به تَستَوْجبوا ما فَرضَ ا لله لكم علينا، وإيّاكم وقالَ ويقـولُ، قَبْلَ أن يُقال فَعَل ويَفْعلُ، وكُونُوا خَيْرَ قَوْسٍ سَهْماً[1]، فهذا اليومُ الـذي ليس قَبلَه عِقابٌ، ولا بعدَهُ عِتابٌ» !

٤ـ خُطْبَةٌ لِعُتْبَةَ بن أبي سُفْيانَ بِمِصْرَ

العقد ٤:١٣٧

بَلَغَ عُتْبَةَ عَن أهْلِ مِصْرَ شَيْءٌ أَغْضَبَهُ، فقام فيهم فَقَالَ بعدَ أنْ حَمِدَ ا لله وأثْنىَ عليه:

«ياأهْلَ مِصْرَ، إياكم أنْ تَكُونوا للسَّيفِ حَصِيداً، فإنَّ لله فيكم ذَبيحاً[2] بعُثمـانَ، أرْجُـو أنْ يُولّيني ا لله نَسْكَه[3]. إنَّ ا لله جَمَعكم بأمـيرِ المُؤمنـينَ بعـد الفُرقـةِ، فـأعْطَى كُـلَّ ذي حَقٍّ حقَّـهُ، وكانَ وا لله أذْكَرَكم إذا ذُكِّرَ بخُطةٍ[4]، وأصْفَحَكم بعد المَقْدرةِ عن حقّـهِ، نعمـةً مـن ا للهِ فيكـم، ومِنّةً[5] منه عليكم. وقد بَلَغنا عنكم نَجْمُ قَوْلٍ[6] أظْهره تَقدُّمُ عَفْوٍ مِنّا، فـلا تَصِيروا إلى وَحْشـةِ الباطل بعد أُنْسِ الحقِّ، بإحياءِ الفِتَنِ، وإماتةِ السُّنَنِ، فأَطَـاكم وا للهِ وَطْـأةً لا رَمَـقَ[7] معهـا، حتـى تُنكروا منّي ما كنتم تَعْرفون، وتَسْتحشنوا ما كُنتـم تَسْتلينونَ. وأنـا أُشْـهِدُ عليكـم الـذي يعلـم خائنةَ الأعْيُنِ[8] وما تُخفي الصُّدورُ»!

---

(١) قال الميداني: «أشدُّ قُوَيْسٍ سَهْماً»: يقال هذا في موضع التفضيل، ومِثْلُهُ «هو أعْلاهم فُوقاً»، أي: سهماً. (مجمع الأمثال ٢:٤:٢٠).وقال الجهوريُّ: وفي المثلِ: «هو من خيرِ قويسٍ سَهْماً» . (الصحـاح، واللسـان: قوس). وقـال الزمخشري: في مَثَلِ «صَارَ خَيْرُ قُوَيسٍ سهماً» . إذا عَزَّ بعدَ المهانة.(أساس البلاغة: قوس).

(٢) الذَّبْحُ والذَّبِيحُ: ما أُعِدَّ للذَّبْحِ من الأضاحي وغيرها من الحيوان.

(٣) النُّسُك : الذَّبْحُ والنَّحْرُ.

(٤) الخُطَّة: الحالُ والأمْرُ والخَطْبُ.

(٥) المِنّة: الإحْسَانُ والنِّعْمَةُ.

(٦) نَجْمُ قَوْلٍ: أي: بادرة من كلامٍ.

(٧) الرَّمَقُ: بَقِيَّةُ الحياة.

(٨) خائنة الأعين: النَّظرةُ المُسَارِقَةُ إلى مالا يَحِلُّ.

٥ـ خُطْبَةٌ لِعُتْبَةَ بن أبي سُفْيَانَ بِمِصْرَ

الكامل للمبرد٤: ١١٠
والعقد٤: ١٣١

خَطَبَ عُتْبَةُ النَّاسَ بِمِصْرَ عن مَوْجِدَةٍ فَقَالَ:

«ياحَاملي ألأَمَ آنُفٍ رُكِّبَتْ بين أعيُن . إني إنما قَلَّمتُ أظفاري عنكم لِيَلِين مَسِّي لكم،وسألتُكم صَلاَحَكم إذ كان فسادُكم باقياً عليكم. فأمَّا إذْ أبيتم إلاَّ الطَّعْنَ على السُّلطان والتَّنقصَ[١] للسَّلَفِ، فوا لله لأقطَعَنَّ بُطُونَ السِّيَاطِ على ظهوركم، فإنْ حَسَمَت[٢] أدواءَكم، وإلاَّ فإنَّ السيفَ مِن ورائكم، فكم من حكمةٍ منًا لم تَعِهَا قلوبُكم، ومن موعظةٍ منًا صَمَّتْ[٣] عنها آذانُكم. ولستُ أَبْخَلُ عليكم بالعقوبةِ إذْ جُدْتُم بالمَعْصية، ولا أُوِيسُكُم[٤] من مراجعةِ الحَسْنى إنْ صرْتُم إلى التي هي أَبَرُّ وأَتْقَى».

٦ـ خُطْبَةٌ لِعُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ بِمِصْرَ

عيون الأخبار ٢: ٢٣٩
والعقد٤: ١٣٨

احْتَبَسَتْ كُتُبُ معاويةَ بن أبي سُفْيَانَ حتى أرْجَفَ أهْلُ مِصْرَ بِمَوْتِهِ، ثم وَرَدَ كتابُه بسَلاَمَتِهِ، فَصَعِدَ عُتْبَةُ المنبر والكتابُ في يَدِهِ، فقالَ:

«ياأهلَ مصرَ قد طالتْ معاتبتُنا إياكم بأطْرافِ[٥] الرِّماح وظُبَات[٦] السُّيوفِ، حتى صِرْنَا شَجىً[٧] في لَهَواتِكُم[٨] ما تُسِيغُنا حلوقُكم، وأَقْذَاءً[٩] في أعيُنكم ما

(١) التَّنقُّصُ: العَيْبُ.
(٢) حسمَ الداءَ: قَطَعه بالدواء.
(٣) صمَّت: انسدَّت وثَقُل سَمْعُها.
(٤) آيَسَهُ: أقنطَهُ وأفقدَهُ الرَّجاء.
(٥) الأطراف: جمع طَرَفٍ، وهو سِنَانُ الرمح، أي: حديدته لِصَقالتها ومَلاَستها.
(٦) الظبات: جمع ظبةٍ، وهي حَدُّ السيف وشَفْرَتُهُ.
(٧) الشَّجا: ماعْتَرضَ في حلق الإنسان من عظمٍ أو عُودٍ أو غيرهما.
(٨) اللَّهَوات: جمع لهاةٍ، وهي اللَّحْمَةُ المُشْرفة على الحَلق.
(٩) الأقذاء : جمع قَذًى، وهو مايقع في العين وما ترمى به.

تَطْرِف[١] عليها جفونُكم. فحين اشتدّتْ عُرَى[٢] الحقِّ عليكم عَقْداً، واسترختْ[٣] عُقَدُ الباطل منكم حَلاًّ، أرجفتُم[٤] بالخليفةِ، وأردتُم توهين[٥] السلطان، وخُضتم الحقَّ إلى الباطل، وأقدمُ عهدكم به حديثٌ! فارْبَحُوا أنفُسكم إذ خَسِرْتم دينَكم، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخَبَر السارِّ عنه، والعهدِ القريب منه. واعلموا أنَّ سلطانَنا على أبدانكم دون قُلوبكم، فأصلِحوا لنا ماظَهَر نَكِلكُم إلى الله فيما بَطَن، وأظهِرُوا خيراً وإنْ أسررتُم شرًّا، فإنكم حاصدونَ ما أنتم زارعون. وعلى الله نتوكّل وبه نستعين » .

٧ـ خُطْبَةٌ لِزيادِ ابنِ أبيه بالبَصْرَةِ

تاريخ الرسل والملوك ٥:٢١٧

والبيان والتبيين٢:٤٧

وعيون الأخبار٢:٢٤١

وأنساب الأشراف٤:١:١٧٩

والعقد٤:١١٠

وذيل الأمالي والنوادر ص:١٨٥

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥:٤١٥

والكامل في التاريخ ٣:٤٤٧

وشرح نهج البلاغة ١٦:٢٠٠

اسْتَعْملَ معاويةُ بنُ أبي سُفْيان زياداً على البَصْرةِ وخراسان وسِجستانَ، ثم جَمَعَ له الهندَ والبَحْرَيْنِ وعُمَانَ. فَقَدِمَ البَصْرةَ سنة خمْس وأربعين والفِسْقُ بها ظاهرٌ فاشٍ، فخطبَ خطبةً بتْراءَ، لم يَحْمَدِ الله فيها، وقيلَ : بل حَمدَ الله، فقال: الحمدُ للهِ على أفْضَالِه، ونسألُهُ المزيدَ من نعَمِهِ، اللّهم كما رَزَقْتَنا نِعَماً فألْهِمْنا شكراً على نِعْمتكَ علينا.

(١) طرفَ بَصَرُه: أطبق أحد جَفْنيه على الآخر.

(٢) عُرَى الحق: جمع عروة، وهي مَدْخل زر القميص، وتستعار العروة لما يُوثق به ويُعَوَّلُ عليه. والمراد أسباب الحق، أي: ضيقت عليكم أسباب الحق السُّبلَ والحجَج، وقهرتكم وألزمتكم الطاعة.

(٣) اسْتَرخَت عُقَدُ الباطل: ضَعُفَتْ ووهنت وانفكّت.

(٤) أرْجَفَ: خاض في الأخبار السيئة وذكر الفتن على أنْ يُوقِعَ في الناس الاضطراب من غير أنْ تصح عندهم.

(٥) التوهين : الإضعاف.

«أمّا بعدُ، فإنَّ الجهالةَ الجَهْلاءَ[١] ، والضّلالةَ العَمْياءَ، والفَجْرَ[٢] المُوقِد لأهلِهِ النارَ، الباقيَ عليهم سَعيرُها، مايأتي سفهاؤكم، ويشتَملُ عليه حُلَماؤكم من الأمورِ العظامِ، يَنْبُتُ فيها الصغيرُ، ولا يتحاشَى[٣] منها الكبيرُ، كأن لم تَسمَعُوا بآي اللهِ، ولم تقرأوا كتابَ الله ، ولم تَسمَعوا ما أعدَّ اللهُ من الثوابِ الكريم لأهلِ طاعتِه، والعذاب الأليم لأهل معصيتِه ، في الزمنِ السَّرمد [٤] الذي لا يزول. أتكونون كمن طَرفتْ عينهُ [٥] الدنيا، وسدّت مسامِعَه الشّهوات ، واختارَ الفانيةَ على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدَثتم في الإسلام الحَدَثَ الذي لم تُسْبَقوا به من تَرْكِكُمْ هذه المَواخِيرَ[٦] المنصوبةَ، والضعيفةَ المسلوبةَ، في النهار المُبْصِر ، والعددُ غيرُ قليلٍ ! ألم تكنْ منكم نُهاةٌ تَمنع الغُواةَ [٧]عن دَلجِ [٨] الليل وغارةِ النهار! قَرَّبتم القرابةَ ، وباعدتم الدِّين ، تعتذرونَ بغيرِ العذرِ، وتُغطُّون على المُختلسِ[٩] ، كلّ امرئٍ منكم يذبُّ عن سفيهه صَنيعَ من لا يخافُ عقاباً ، ولا يَرْجُو مَعاداً[١٠]. ما أنتم بالحُلماء ، ولقد اتّبعتم السفهاء ، ولم يزل بهم ما ترَوْن من قيامكم دونَهم، حتى انتهكوا حُرَمَ[١١] الإسلامِ ، ثم أطرَقوا[١٢] وراءكم كُنوساً[١٣]

---

(١) الجهالة الجهلاء: الجهالة الضلالة، والجهلاء تركيد للجهالة، كما يقال: وَتَدٌ واتِدٌ ، وهمجٌ هامجٌ، وليلةٌ لَيْلاء، ويومٌ أيْوَم.

(٢) الفَجْرُ والفُجُور: الفِسقُ والانْبعَاثُ في المَعاصي.

(٣) يَتحاشَى منها: يتنحَّى عنها ويَتباعَدُ.

(٤) السرمد : الدائم الذي لا ينقطع.

(٥) طرفتْ عَيْنُهُ الدنيا : أي: طمَحَتْ ببصره إليها وإلى زخرفها وزينتها وأحبَّها .

(٦) المواخير : جمع ماخورٍ ، وهو مجلس الرِّيبة، ومجمع أهل الفسق والفساد وبيوت الخمارين .

(٧) الغواة : جمع غويٍّ، وهو المنهمك في الضّلالة .

(٨) الدُّلج : السير من أول الليل .

(٩) المختلس : المُسْتَلب المنتهب .

(١٠) المعاد : المصير والمرجع والآخرة .

(١١) حُرَمُ الإسلام : نواهيه ومعاصيه مما لا يَحِلُّ انتهاكه .

(١٢) أطرقوا وراءكم : استتروا بكم .

(١٣) الكنوس : جمع كانس ، وهو المُستَتِر . وأصله من كَنَسَ الظَّبْيُ إذا دخل في كِناسِه ، وهو موضع في الشجر يكتنُّ فيه ويَستتر .

في مَكانس[١] الرِّيب . حُرِّمَ عليَّ الطعَامُ والشرابُ حتى أسوِّيَها بالأرض هَدْماً وإحراقاً . إني رأيت آخرَ هذا الأمرِ لا يَصلُح إلاّ بما صلَحَ به أوَّلُه، لينٌ في غيرِ ضَعْفٍ ، وشدَّةٌ في غير جَبريّة[٢] وعُنْفٍ[٣]. وإني أقسمُ بالله لآخُذَنَّ[٤] الوليَّ[٥] بالوليِّ ، والمقيمَ بالظاعنِ[٦]، والمقْبِل[٧] بالمدبرِ[٨]، والصحيحَ[٩] منكم بالسَّقيم[١٠]، حتى يلقَى الرجلُ منكم أخَاه فيقول : انجُ سَعْدٌ فقد هَلَكَ سُعَيْد[١١] أو تستقيمَ لي قناتُكم [١٢]. إنَّ كذبة المنبر تَبقَى مشهورةً ، فإذا تعلَّقتم[١٣] عليَّ

---

(١) المكانس : جمع مَكْنَس ، وهو مَوْلِجُ الوحش من الظباء والبقر تَسْتكنُّ فيه من الحرّ. والمراد اسْتَتَروا في موضع الرِّيبة .

(٢) الجبريَّة : الكِبْرُ والتجبُّر.

(٣) العُنْفُ : الخُرْقُ بالأمْرِ وقلّة الرِّفقِ به ، والشِّدةُ والمشقّةُ .

(٤) أخذه بالشيء : عاقبَه به .

(٥) الوَلِيُّ : الصاحب والقريب والجار والحلف والشَّريك .

(٦) الظَّاعِنُ : السَّائرُ والشاخص والرَّاحل والمُتحوِّل.

(٧) المقبل : الآتي والقادم .

(٨) المُدْبر : المُوَلِّي والذَّاهب .

(٩) الصَّحيح : السليم المُعَافَى ، والمراد المستقيمُ البريءُ من التُّهَم ، أي السامع المطيع .

(١٠) السَّقيم : المريض ، والمراد: الفَاسِدُ الحاقدُ والمُريبُ المُتَّهم. قال ابن منظور : في الحديث: «يأتي على النَّاسِ زمانٌ يُسْتَحَلُّ فيه الرِّبا بالبَيْعِ ، والقتلُ بالموعظِة» معناه: أنْ يُقْتَلَ البريءُ ليتّعظَ به المُرِيبُ كما قال الحجَّاجُ في خطبته : «وأقتلُ البريءَ بالسَّقيم » . (اللسان:وعظ) .

(١١) انجُ سعدَ فقد هلكَ سُعَيْدٌ : هذا مَثَلٌ سائر أولُ مَنْ قَالَهُ ضبَّة بنُ أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وكان له ابنان يُقالُ لأحدهما : سَعْدٌ، وللآخَر سُعَيدٌ . فَنفَرَتْ إبلٌ لضبَّة تحتَ الليل، فوَجَّه ابْنَيْه في طلبها ، فتفرَّقا، فوجَدَها سَعْدٌ فردَّها. ومضى سُعَيْدٌ في طلبها ، فَلقيه الحارث بن كعب ، وكان على الغلام بُرْدَان، فسألهُ الحارثُ إيَّاهما ، فأبَى عليه ، فَقَتَلَهُ وأخذَ بُردَيْه . فكان ضبَّة إذا أمسى فرأى تحتَ الليل سواداً قال : أسعدٌ أم سُعَيْدٌ ؟ فذهب قوله مثلاً . وهو يُضرب في النجاح والخيْبة ، وفي العناية بذي الرَّحم ، وفي الاستخبار أيضاً عن الأمْرَين الخيرِ والشرِّ أيُّهما وقَعَ .

(مجمع الأمثال ١ : ٣٥١ ، ٢ : ٩٩ ، ٣ : ٣٨٣ ، واللسان : سعد) .

(١٢) تستقيم لي قناتكم : تَسْتوي وتعْتَدِل ، والمراد: تَنْقَادُون لي وتطيعوني .

(١٣) تَعَلَّقَ عليه بكذبة : وقع عليها وظفر بها .

بكذبةٍ فقد حَلَّتْ[١] لكم مَعْصِيتي، وإذا سمعتُموها مني فاغْتَمزُوها[٢] فيَّ، واعلموا أنَّ عندي أمثالها. من بُيِّتَ[٣] منكم فأنا ضامنٌ لما ذهب له . إيَّاي ودَلَجَ[٤] اللَّيل، فإنّي لا أُوتىَ بمدلجٍ[٥] إلاَّ سفكْتُ دَمه[٦]، وقد أجَّلتكم[٧] في ذلك بقدْرِ ما يأتي الخبرُ الكُوفةَ ويرجعُ إليَّ. وإيّايَ ودَعْوَى الجاهليةِ[٨]، فإنّي لا أجدُ أحداً ادَّعا بها إلاَّ قطعتُ لسانَهُ! وقد أحْدَثْتُم[٩] أحداثاً لم تكنْ ، وقد أحْدَثْنا لكلِّ ذنب عقوبةً، فمن غَرَّقَ[١٠] قوماً غَرَّقْتُهُ، ومن حَرَّقَ[١١] على قوم حَرَّقناهُ ، ومن نَقَبَ[١٢] بيتاً نَقَبْتُ عن قَلْبِهِ، ومن نَبَش[١٣]قَبراً دفنتُه فيه حيًّا. فكُفُّوا عني أيديَكم وألْسِنتَكم أكْفُفْ يديَ وأذايَ، لا يَظهرُ مِنْ أحدٍ منكم خلافُ ما عليه عامَّتكُم إلاَّ ضَرَبْتُ عنقه .

---

(١) حَلَّ الشيء : صار حلالاً ، أي: جاز وساغ .

(٢) اغْتَمزهُ : عابَهُ وطعن عليه .

(٣) بُيِّتَ : أُوقِع به بَغْتَةً ، أو سُرِقَ بليلٍ وهو غافلٌ .

(٤) الدَّلج : السَّيْرُ من أوَّلِ الليل ، وقيل : هو سَيْرُ الليل كله .

(٥) المُدْلج : السَّائرُ في الليل ، من أدْلج إذا سار أيَّ ساعةٍ من أوَّلِ الليلِ إلى آخره .

(٦) سَفَكَ دَمَهُ : أراقَهُ و أجْرَاهُ ، أي: قَتَلَهُ.

(٧) أجَّلَهُ : أنْظَرَهُ وأمْهَلَهُ .

(٨) التَّداعي والادِّعاء : الاعْتِزاءُ في الحرب ، وهو أن يقولَ الرجلُ : أنا فلانُ بن فلان ، لأنهم يَتَدَاعَوْنَ بأسمائهم. وفي الحديث: «ما بال دَعْوَى الجاهلية ». وهي قولُهم : يا لَفُلانٍ! كانوا يدعون بعضهم بعضاً عند الأمْرِ الحادثِ الشديد ، ومنه حديث زيدِ بن أرقم : «فقالَ قومٌ: يا لَلأنْصار! وقالَ قومٌ: يا للمهاجرين! فقال عليه السلام : دَعُوها فإنّها منتنة» . (اللسان : دعا).

(٩) أحْدَثَ الشيء : ابتدعَهُ . ومُحْدثات الأمور : جمع مُحْدَثة بالفتح ، وهي ما لم يكن معروفاً في كتابٍ ولا سُنَّة ولا إجماع . وفي الحديث : «كلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وكلُّ بِدْعَةٍ ضلالَةٌ» (اللسان: حدث).

(١٠) يعني مَنْ غَرَّقَ زَرْعَ قَوْمٍ غَرَّقَهُ في الماء . (انظر أنساب الأشراف ٤: ١ : ١٧٢) .

(١١) يعني: مَنْ حَرَّقَ دارَ قومٍ حرَّقه بالنّار. (انظر أنساب الاشراف٤ : ١ : ١٧٢) .

(١٢) نقب البَيْتَ : ثقبَ جدارَهُ ليَسْرِقَهُ .

(١٣) نَبشَ القبر : استَخرجَ منه المَيِّتَ ليأخذ ثيابَهُ .

وقد كانتْ بيني وبينَ أقوامٍ إحَنٌ[١]، فَجَعَلتُ ذلك دَبْرَ أذُني[٢]، وتحتَ قدَمي[٣]. فَمَنْ كانَ منكم مُحسِناً فليزدَدْ إحْسَاناً ، ومَنْ كان مُسيئاً فَلْيَنزِعْ[٤]عن إساءَتِهِ . إنّي لو عَلِمْتُ أنَّ أحَدكم قد قَتَلَهُ السُّلُّ من بُغْضي لم أكشفْ له قِناعاً ، ولم أهْتِكْ له[٥]سِتراً، حتى يُبدِيَ لي صَفْحَتَه[٦]، فإذا فَعَلَ لم أناظِرْه[٧]. فاستأنِفوا[٨] أمورَكم ، وأعِينُوا على أنفُسكم ، فَرُبَّ مُبْتئسٍ بقُدُومنا سيُسرُّ ، ومَسْرور بقُدومنا سَيَبْتئسُ .

أيُّها الناسُ ، إنّا أصْبحنَا لكم ساسةٌ[٩]، وعنكم ذادةٌ[١٠]، نَسوسُكم بسلطانِ[١١] اللهِ الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيءِ[١٢] اللهِ الذي خَوَّلنا[١٣]، فلنا عليكم السَّمْعُ والطاعةُ فيما أحْبَبْنَا ، ولكم علينا العدلُ فيما وُلِّينا. فاستَوْجِبوا[١٤] عَدْلَنا وفَيْئَنا بمناصَحتكم[١٥] ، واعلَمُوا أني مهما قَصَّرْتُ عنه فإنّي لا أُقصِّرُ عن ثلاثٍ :

---

(١) الإحَنُ : جمع إحْنَةٍ ، وهي الحقد .

(٢) جعلتُ الكلامَ دَبْرَ أذني ، وكلامُهُ دَبْرَ أذني : أي: خَلْفي ، لم أعبأْ به ، وتَصامَمْتُ عنه ، وأغضَيْتُ عنه ، ولم ألتفتْ إليه.

(٣) من المجاز: اجْعَلْ ذلك تحتَ قدميك : اعْفُ عنه .وجَعَلَ ذلك تحتَ قَدَمَيهِ : أهدره، أي: أبْطَلَهُ ونَسِيَهُ وتركَهُ.

(٤) نزعَ عن الشيء : كفَّ عنه وأقلعَ .

(٥) هَتَكَ سِتْرَهُ: فَضَحَهُ .

(٦) صَفحةُ الرَّجل : عُرْضُ وَجْهِهِ . وأبْدَى له صَفْحَتَهُ : كاشَفَهُ وأظهر له فِعْلَهُ الذي كانَ يُخفِيه .

(٧) ناظره : فاوَضَهُ وحاوَرَهُ. وفي بعض الروايات : «أنْظِرْهُ» أي: أمْهِلْهُ .

(٨) استأنفَ أمرَهُ : استَقْبَلَهُ .

(٩) السَّاسةُ: جمعُ سائسٍ، وهو القائم بأمورِ النَّاسِ.

(١٠) الذَّادَةُ : جمع ذائدٍ، وهو المُدافعُ عن النَّاسِ المُحامي عليهم .

(١١) سُلْطَانُ الله : أمْرُه وقضاؤه .

(١٢) الفَيْء : الغنيمة والخراج .

(١٣) خَوَّلَهُ: أعْطَاهُ ومَلَّكه .

(١٤) استَوجب الشيءَ: استَحَقَّهُ وصار أهْلاً له .

(١٥) المُناصَحَةُ : من النَّصيحة، وهي إرادةُ الخير للمنصُوحِ له.

لستُ محتجباً عن طالب حاجةٍ منكم ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابساً رِزْقاً[١] ولا عطاءً[٢] عن إبّانه[٣]، ولا مُجمِّراً[٤] لكم بَعْثاً. فادعوا الله بالصّلاحِ لأئمّتكم، فإنهم ساستُكم المؤدّبون لكم، وكَهْفكُم الذي إليه تأوون، ومتى تَصلحوا يصلحوا. ولا تُشربوا[٥] قلوبَكم بغضَهم، فيشتدَّ لذلك غيظُكم، ويطولَ له حُزنكم، ولا تُدركوا حاجَتكم، مع أنه لو استجيبَ لكم كان شرًّا لكم.

أسألُ الله أنْ يعينَ كلاًّ على كلٍّ، وإذا رأيتموني أنفِذ فيكم الأمرَ فأنفذوه على أذْلالِه[٦]. وأيمُ الله إنَّ لي فيكم لصرعَى كثيرة، فليحذرْ كلّ امرئٍ منكم أن يكون من صَرعْاي».

٨ ـ خُطبةٌ لزياد ابنِ أبيهِ بالكُوفَةِ

أنساب الأشراف ٤ : ١ : ٢١٢

كانَ المُغيرةُ بنُ شُعْبَةَ الثّقفيُّ والياً على الكُوفةِ، فلمَّا تُوُفّي سَنة خمسين جَمَع مُعاويةُ ابنُ أبي سُفْيانَ البَصْرَةَ والكُوفة لزيادٍ، فخطبَ خطبةً قال فيها :

«إنَّا وَجَدْنا هذا الأمْرَ لا يَصْلُحُ آخِرُهُ إلاّ بما صَلَحَ به أوَّلُهُ من الطّاعة اللّيِّنةِ الشّبيهةِ سَرِيرَتُها بِعَلانيَتها، وغَيبُها بشَهادَتها، وقلوبُ أهلِها بألْسِنَتهمْ. وقد بَلَغني أنَّ قَوْماً يَعِيبُونَ الخليفةَ إرْصَاداً[٧] للفِتْنَة، فمَهْلاً مَهْلاً! فإنَّ لكم صَرْعَى، فَلْيَخْشَ كُلُّ امرئ منكم أنْ يكونَ من صَرْعايَا! فإنّي آخذُ الكبيرَ بالصَّغيرِ، والقريبَ بالبعيدِ، والبريءَ بالسَّقيم،

---

(١) الرِّزْقُ : الحُبوبُ من الحِنْطةِ وغيرها.

(٢) العطاء : المُرتّبُ من الدَّنانيرِ والدَّراهم.

(٣) إبّانُ كلّ شيءٍ بالكسر والتّشديدِ: وَقْتُهُ وحِينُهُ الذي يكون فيه .

(٤) جَمَّرَ الأميرُ الجيشَ : أطالَ حَبْسَهم بالثّغْرِ، ولم يأذن لهم في العَوْد إلى أهاليهم .

(٥) أُشْرِبَ قَلْبُهُ الأمر : أي: حَلَّ مَحَلَّ الشرابِ، أو اختلط به كما يختلط الصِّبْغُ بالثوب. والمراد: داخله وخالطه.

(٦) الأذْلال : جمع ذِلٍّ، وهو ما مُهِّدَ من الطريق وذُلِّل . وأمورُ اللهِ جاريةٌ على أذْلالِها : أي: على مَجارِيها وطرقها. وفي المَثَل: «أحْرِ الأمور على أذلالها»: أي: على وُجُوهها التي تصلُح عليها وتَسْهُلُ وتَتَيَسَّرُ . (مجمع الأمثال ١: ٣١٠، واللسان : ذلل) .

(٧) الإرْصاد: الإعْدَادُ والانْتِظَار .

والشَّاهِدَ بالغائبِ ، والمُقْبِلَ بالمُدبِر، حَتىَّ تَستقيمَ لي قَنَاتُكُمْ، وحَتَّى يَلْقَى الرجلُ صاحِبهُ، فيقول: يا سَعْدُ ، انْجُ، قد قُتِلَ سُعَيدٌ[1]»!

٩ ـ خُطْبَةٌ لزياد ابنِ أبيه بالكُوفَةِ

أنساب الأشراف ٤ : ١ : ٢١٤

كان عَمْرُو بن حُرَيْثٍ المَخزُوميُّ نائبَ زيادٍ بالكُوفَةِ، فكتَبَ إليه أنَّ الشِّيعةَ حَصَبُوهُ حتى دَخَل القَصْرَ، وأنَّه لا يَمْلِك من الكُوفة إلاَّ دار الإمارَة . فلمَّا قَرَأ زيادٌ كتابَهُ رَحَلَ من البَصْرةِ ، فلَمَّا أتَى الكُوفة صَعِدَ المِنْبَر ، فقالَ :

«يا أهلَ الكُوفة ، جَمعْتُمْ[2]فأشِرْتُم[3]، وأمِنْتُم فاجْتَرأتُم. وإنَّ عواقبَ البَغْي شَرُّ العَواقبِ. وا للهِ ، يا أهلَ الكوفَةِ ، لئنْ لم تَسْتَقِيمُوا[4] لأُدَاوِينَّكم بدوائِكمْ ، فإنَّه عندي عَتيدٌ[5]» !

---

(١) انجُ سَعْدٌ فقد هلَكَ سُعَيْدٌ: مَثَلٌ يُضْرَبُ في النَّجاحِ والخيبة، وفي العناية بذي الرحم ، وفي الاستخبار أيضاً عن الأمْرَيْنِ : الخيرِ والشَّرِّ أيُّهما وَقَع . (مجمع الأمثال ١ : ٣٥١ ، واللسان : سعد) .

(٢) جمَّ القَوْمُ: اسْتَراحُوا وكَثُرُوا .

(٣) أشِرْتُم: مَرِحْتُمْ وبَطِرْتُم ، وتَبَخْتَرْتُمْ واخْتَلْتُمْ .

(٤) استقام: أطَاعَ .

(٥) العَتِيدُ : المُعَدُّ الحاضرُ .

١٠ ـ خُطْبةٌ لزياد ابنِ أبيه بالكُوفةِ

أنساب الأشراف ٤ : ١ : ٢١٣

خَطَبَ زيادٌ ذاتَ يوم ، وعليه عِمامةٌ حَمْراءُ وقد أرْسَلَها ، فقالَ :

«أيُّها الناسُ، إنَّ هـذه السَّبئيَّةَ[١] الجانيةَ[٢]، قد رَكِبَتْ[٣] أعْجَازَ[٤] أمورٍ هَلَكَ مَنْ رَكِبَ صُدُورَهَا[٥]، فإن ينتَهوا[٦] يُغفَرْ لَهُمْ ما قَد سَلَف، وإن يَعُودوا فقد مَضَتْ سُنَّةُ الأوَّلين»

١١ ـ خُطْبةٌ لِعُبيد ا للهِ بن زيادٍ بالبَصْرةِ

تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٥٨

والكامل في التاريخ ٤ : ٢٣

لَمَّا بَلَغَ عُبَيدَ ا لله بنَ زياد إقبالُ الحسين بن عليٍّ إلى الكُوفة ، وقرأ كتابَهُ إلى أشراف أهْلِ البصرةِ ، صَعِدَ المنبرَ، فحمدَ ا لله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أمَّا بعد ، فوا لله ما تُقْرَنُ بي الصَّعْبةُ[٧]، ولا يُقعقَعُ لي بالشِّنان[٨]، وإني لَنِكْلٌ[٩] لمن عاداني، وسُمٌّ لمنْ حاربني ، أنصف القارةَ من راماها[١٠]. يا أهلَ البصرةِ إنَّ أمير

---

(١) السَّبَئيَّةُ :الغُلاةُ من الشِّيعةِ المُتَحَيِّرة .

(٢) الجانية : المُذنِبَةُ المُجرِمة .

(٣) كلُّ شيء ركبَ شيئاً فقد عَلاهُ ، وركِبَهُ الدَّيْنُ ، وركبَ الهَوْلَ واللَّيل ونَحْوهما على المَثل بذلك ، والمراد أتَوْا أموراً وارتكبوها من غير رويةٍ ولا تثبتٍ.

(٤) أعجازُ الأمور : أواخرها . ويقال : بنو فلانٍ يركبون أعجازاً: إذا كانوا أذِلاَّء أتباعاً لغيرهم، أو يَلْقَون المَشَاقَّ ، لأن عَجُز البعير مَرْكبٌ شاقٌّ.

(٥) صُدُور الأمور : أوائلها .

(٦) انتهى عن الأمر : كفَّ عنه .

(٧) في المثل :« ما تُقْرَنُ بفلان صَعْبةٌ » .أصلُه أنَّ الناقة الصعبة تُقْرَنُ بالجَمل الذَّلول ليُروِّضها ويُذلِّلها ، أي: أنه أكْرَمُ وأجَلُّ من أن يُستعمل يُكلَّف تذليلَ الصَّعبِ كما يُكلفُ ذلك الفحلُ . (مجمع الأمثال ٣: ٢٣٩) .

(٨) الشِّنان : جَمْعُ شنٍّ وشَنَّةٍ، وهي القِرْبة الخَلَقُ. وفي المثلِ: «فلانٌ لا يُقعقَعُ له بالشنان»، أي: لا يُخْدَعُ ولا يُرَوَّع. وأصلُه من تَحْريك الجِلْدِ اليابس للبعير ليفزَّع.

(٩) رَجُلٌ نِكْلٌ: إذا نُكِّلَ به أعداؤه ، أي: دُفِعُوا.

(١٠) في المثل: « قد أنصف القارة من راماها» القارة: قبيلة، وهم عُضَلٌ والدِّيش ابنا الهُون بن خُزَيْمة. وهم رماةُ الحَدق في الجاهلية. ويزعمون أن رَجُلين التقيا أحدهما قاريٌّ. فقال القاريُّ: إن شئت صارعتك، وإن شئت سابقتك، وإن شئت

=

المؤمنين ولأني الكوفة ، وأنا غاد إليها الغداةَ ، وقد استخلفتُ عليكم عثمانَ بن زياد بن أبي سُفْيان ، وإيَّاكم والخلافَ والإرجاف[١]، فوالذي لا إله غيرُه لئن بلغني عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنّه وعريفَهُ ووليَّه ، ولآخذنَّ الأدنى بالأقصى حتى تستقيمُوا لي[٢]، ولا يكون فيكم مُخالفٌ ولا مشاق[٣]. أنا ابنُ زيادٍ أشْبَهتهُ من بين مَنْ وطئ الحصى ، ولَم ينْتزعني شَبهُ خالٍ ولا ابن عمٍّ».

١٢ ـ خُطْبَةٌ لِعُبيد ا للهِ بنِ زيادٍ بالكُوفَةِ.

تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٥٨

والكامل في التاريخ ٤ : ٢٤

جَمَعَ يَزيدُ بنُ معاوية الكُوفةَ والبَصْرَةَ لِعُبيد ا للهِ بن زياد ، وأمَرَهُ بطلب مُسْلِم بنِ عَقيلٍ، وبقَتْلِهِ أو نَفْيهِ عن الكوفةِ. فخرج ابنُ زياد من البَصرَةِ حتى دَخَلَ الكوفة ، فلمَّا نزلَ قَصْرَ الإمارةِ نوديَ: الصلاةُ جَامعةٌ، فاجتمعَ الناسُ ، فخرج إليهم، فحمدَ ا للهَ وأثنى عليه ، ثم قال:

«أمَّا بعدُ، فإنَّ أميرَ المؤمنين، أصلحَهُ ا لله، ولأني مِصْرَكم وثَغْرَكُم[٤]، وأمرني بإنْصافِ مَظْلُومكُمْ، وإعطاء مَحْرُومِكُمْ، وبالإحْسانِ إلى سَامِعكم ومُطيعِكُمْ، وبالشدَّة عَلى مُريبكم وعاصِيكُمْ. وأنا مُتَّبعٌ فيكم أمرَهُ، ومنفِّذٌ فيكم عَهْدَهُ، فأنا لِمحْسنكم ومُطيعكم كالوالدِ البَرِّ، وسوْطي وَسيفي على مَنْ تَرَكَ أمري، وخالفَ عَهْدي. فليُبق[٥] امرؤٌ على نفسه. الصِدْقُ ينبئُ عنكَ لا الوعيدُ » .

=

رامِيْك، فقال الآخر: قد اخترت المراماة، فقال القاري: قد أنصفتني، وأنشأ يقول: «قد أنصف القارة من راماها»، يضرب في إنصاف الناس من نفسك. (مجمع الأمثال ٢ : ٤٨٩) .

(١) الإرجاف: توليد الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس .

(٢) استقام له: أطاعه .

(٣) المشاقُّ: العدو المخالفُ .

(٤) الثَّغْرُ : الموضع الذي يكون حدًّا فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار ، وهو مَوْضع المخافةِ من أطراف البلاد .

(٥) فليُبْقِ امرؤٌ على نفسه: أي: فَلْيَحْفَظْها ولا يُعَرِّضْها للهلاك .

١٣ ـ خُطْبَةٌ لِعُبيد ا للهِ بنِ زيادٍ بالكُوفَةِ بعدَ مَقْتلِ الحسينِ بنِ عليٍّ

تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٥٨

والكامل في التاريخ ٤: ٨٢

لَمَّا قُتِلَ الحسينُ بن عليٍّ ، وحُمِلَ رَأسُهُ ورؤوسُ أصْحابه ومَنْ أسِرَ من أهل بَيْتِهِ إلى عُبَيْد ا لله بنِ زيادٍ بالكُوفَةِ، نوديَ : الصَّلاة جامِعةٌ، فاجتمعَ الناسُ ، فَصَعِدَ المنبرَ، فقال:

«الحمدُ لله الذي أظهرَ[1] الحقَّ وأهلَهُ ، ونَصرَ أمير المؤمنين يزيدَ بن معاوية وحزبَهُ، وقَتَلَ الكذّاب ابن الكذّاب، الحسينَ بن عليٍّ وشيعَتَهُ» !!

١٤ ـ خُطْبَةٌ لِعُبيد ا للهِ بنِ زيادٍ بالبَصْرَةِ بعدَ موتِ يزيدَ بن مُعاوية

نقائض جرير والفرزدق ٢ : ٧٢٢

والبيان والتبيين ٢ : ١٠٧

وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٠٤

والكامل في التاريخ ٤ : ١٣١

لَمَّا بَلَغَ عبيدَ ا للهِ بنَ زياد مَوْتُ يزيد بن مُعاوية قام خطيباً في أهْلِ البَصْرَةِ ، فقال :

« إنّي قد وَلِيتُكم وما يُحْصَى ديوانُ مُقاتِلَتِكم إلا أرْبعينَ ألفاً ، ولا ديوانُ ذَرَاريكم إلاّ سبعينَ ألفاً ، فقد بلغَ ديوانُ مقاتِلتكم ثمانين ألفاً ، وديوان ذَرَاريكم مئةً وأربعينَ ألفاً، لم أتْرُكْ لكم ظِنة[2] أخَافُها عليكم إلاّ وقد جَمَعْتُها في سِجْني هذا . وأنتم أوْسَعُ الناسِ بلاداً، وأبْعَدُهم مقاداً[3]، وأكثَرُهم عديداً[4] وحَديداً[5]، لا حاجةَ بكم إلى أحَدٍ من الناسِ، بل الحاجةُ للنّاس إليكم . فاختَاروا لأنْفُسِكم رَجُلاً تَرْضَوْنَهُ لِدينِكم وسُلْطَانِكم[6]، حتى تَجْتَمِعَ النّاسُ على

---

(١) أظْهَرَ الحقَّ : جَعَلَهُ يَغْلِبُ و يَظْفَرُ و يفُوزُ .

(٢) الظِّنّة: الرِّيبة والتُّهمة والشُّبْهةُ ، والمراد صاحِبُها .

(٣) المقاد : الغزو.

(٤) العديد : العَدَدُ .

(٥) الحديد : كناية عن السلاح .

(٦) السُّلْطان : الوالي ، والمراد منْ يقوم بولايتكم وإمارتكم .

خليفةٍ، وأنا أوَّلُ مَنْ سَمِعَ وأطَاعَ ، وأعانَ بمَالِهِ ونَصيحَتِهِ وقُوَّتِهِ . وإنْ تَنْسِبوني[١] تَجِدوا مُهاجَرَ والدي إلى البَصْرةِ ومَوْلِدي بها ، وأنا رَجُلٌ منكم » .

١٥ ـ خُطْبَةٌ لِعَمرِو بن سعيدٍ الأشْدَقِ بِمكَّة

العقد ٤ : ١٣٣

استَعملَ سعيدُ بنُ العاصِ وهو وال على المدينة ، ابنَهُ عمرو بن سَعيد والياً على مكة ، فلّما قَدِم لم يَلْقه قُرشيٌّ ولا أُمويٌّ إلاّ أنْ يكون الحارثَ بنَ نَوفلٍ ، فلمّا لَقيَهُ قالَ له : يا حارِ، ما الذي مَنَعَ قَومَكَ أنْ يَلقوني كما لَقيتَني؟ قال: ما مَنَعَهُمْ من ذلك إلاّ ما استقبلتني به ، والله ما كَنَّيتني ولا أتْمَمتَ اسمي، وإنما أنهاكَ عن التَّكبُّر على أكْفائِكَ، فإنَّ ذلك لا يَرْفَعُكَ عليهم، ولا يَضَعُهم لك. قال: والله ما أسأتَ الموْعظةَ ولا أتَّهمُكَ على النَّصيحةِ، وإنَّ الذي رأيتَ منّي لَخُلُق. فلما دَخَل مكة قامَ على المِنبر، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قالَ:

«أمَّا بعدُ، مَعْشرَ أهلِ مكّة ، فإنّا سكنّاها حِقْبةً ، وخَرَجْنَا عنها رَغْبةً، وكذلك كُنّا إذا رُفِعَتْ لنا هُوةٌ[٢] بعد هوةٍ أخَذْنا أسْناها[٣] ونَزَلنا أعلاها. ثم شَدَخَ[٤] أمْرٌ بينَ أمْرين، فَقَتلْنا وقُتِلنا. فوالله ما نَزعْنا[٥] ولا نُزع عنّا، حتى شَرِبَ الدَّم دماً ، وأكلَ اللحمُ لحماً، وقَرعَ[٦] العَظْمُ عَظْماً، فَوَلي رسولُ الله ﷺ برسالةِ الله إيّاه، واختيارِهِ له. ثم ولي أبو بكرٍ لسابقته وفَضْلِهِ، ثم وليَ عُمرُ. ثم أُجيلَتْ[٧] قِداحٌ[٨] نُزِعْنَ من شُعبٍ[٩] حَوْلَ

---

(١) تَسَبَهُ : ذكر نَسَبَهُ .

(٢) الهُوَّةُ : العطيَّة . ويُريد بها الولاية .

(٣) السناء : المجدُ والشَّرفُ والرِّفْعةُ . وأسْناها : أمْجَدُها وأشرفها وأرْفعها.

(٤) شَدَخ : كسر ، والمراد فَرَّقَ وباعَدَ .

(٥) نزع: كفَّ وتَوقَّفَ.

(٦) قَرَعَ: ضَرَبَ .

(٧) الإجالة: الإدارة . يقال في المَيْسِر: أجل السِّهامَ، وأجالَ السِّهام بين القَوْم : أي: حرَّكها وأفضى بها في القِسْمةِ .

(٨) القِدَاحُ: جمع قِدْح، وهي السَّهْمُ .

(٩) الشُّعَب: جمع شعبة، وهي الغُصْنُ .

نَبْعةٍ[١]، ففاز بحَظِّها أصْلبُها[٢] وأعْتَقُها[٣]، فكُنّا بعضَ قداحها. ثم شَدَخَ أمرٌ بين أمرين، فَقَتَلنا وقُتِلنا، فوا لله ما نَزعْنا ولا نُزعَ عنّا، حتى شربَ الدَّم دماً، وأكلَ اللحمُ لحماً، وقَرعَ العَظْم عَظْماً، وعاد الحرامُ حلالاً، وأسكت كلُّ ذي حِسٍّ[٤] عن ضَرْبِ مُهَنّدٍ[٥]، عَرْكاً عَرْكاً[٦]، وعَسْفاً[٧] عَسْفاً، ووَخْزاً[٨] ونَهْساً[٩]، حتى طابُوا عن حَقّنا نفساً. وا للهِ ما أعْطَوْهُ عن هَوادةٍ[١٠]، ولا رَضُوا فيه بالقضاء، أصبحُوا يقولونَ: حَقُّنا غُلبنا عليه، فَجَزيناً هذا بهذا، وهذا في هذا. يا أهْلَ مكة، أنفسَكم أنفسَكم، وسُفهاءكم سُفهاءكم، فإنَّ معي سوطاً نكالاً[١١]، وسَيفاً وَبالاً[١٢]، وكلٌّ مصبوبٌ على أهله ».

١٦ ـ خُطْبةٌ لِعَمرِو بن سعيدٍ الأشْدَقِ بالمَدِينةِ

العقد ٤ : ١٣٢

قَدِمَ عمرُو بن سعيدِ بنِ العاصِ الأشدقُ المدينةَ أميراً، فخرج إلى مِنبرِ رسولِ اللهِ ﷺ، فَقَعد عليه وغَمَّضَ عَيْنَيْهِ، وعليه جُبَّة خَزٍّ قِرْمِز، ومِطْرَفُ خَزٍّ قِرْمِز، وعِمامةُ خَزٍّ قِرْمِز. فجعل أهلُ المدينةِ يَنْظرونَ إلى ثيابِهِ إعجاباً بها، ففتح عَينيه فإذَا الناسُ يَنْظرونَ إليه، فقالَ :

---

(١) النَّبعَة : واحدة النَّبع ، وهو شجرٌ تُتَّخذُ منه القِسيُّ والسِّهام لجودته وصلابته .

(٢) يشير إلى رجال الشُّورى السِّتة، شبَّههم بأغْصانِ النَّبعَةِ، وأنَّ عثمان بن عفانَ كان أحدهم، وأنه هو الذي اختاروه للخلافة من بينهم لسابقته ومكانته .

(٣) أعْتَقُها: أكْرَمُهَا وأجْوَدُها.

(٤) كُلُّ ذي حسٍّ : كل ماله صوتٌ أو حَرَكةٌ .

(٥) المهند: السيف إذا عُمِلَ ببلادِ الهِنْدِ وأُحْكِم عَمَلُهُ .

(٦) العَرْك: الدَّلك . وعَرَكتهم الحربُ: دارت عليهم على المثل بَعْرْكِ الأديم .

(٧) العسف: رُكوب الأمر بلا تَدْبيرٍ ولا رَوِيَّةٍ .

(٨) الوخز: الطعن .

(٩) النهس: القَبْضُ والأخْذُ والانتزاع .

(١٠) الهوادة: اللِّين وما يُرْجى به الصَّلاح بين القوم.

(١١) النكال : العبرة، يقال: نَكَّلْتُ به: أي: جعلتُ غيرَهُ ينكل أن يفعل مثلَ فعلِه، وهو النكال .

(١٢) الوبال: الشدَّة والثِّقَلُ .

«ما بالُكُم يا أهـلَ المدينـةِ تَرفَعُونَ إليَّ أبصارَكم، كـأنكم تُريدونَ أن تَضْرِبُونَـا بسُيوفِكم! أغَرَّكم أنكم فَعلتم ما فَعلتم فَعَفونا عنكم! أما إنّه لو أُثِبْتم بالأُولى ما كانت الثانيةُ. أغرّكـم أنكـم قَتلتم عثمانَ فوافقتم[١] ثائرَنا[٢] منا رفيقاً، قد فَني غضبَـهُ، وبَقي حِلْمُه! اغتنمـوا أنفسَكم، فقـد وا لله مَلكناكم بالشَّباب المُقْبَل[٣]، البعيد الأَمل، الطويل الأجل، حينْ فَرغَ مـن الصِّغرِ، ودَخـل في الكِبرِ، حليمٌ حديدٌ[٤]، ليِّنٌ شديدٌ، رقيق كثيفٌ، رفيقٌ عنيـفٌ، حـين اشـتدَّ عَظْمـه، واعتـدل جسْمُه، ورَمَى الدّهرَ ببصره[٥]، واستقْبَلهُ بأشَرِه[٦]، فهو إن عَضَّ نَهس[٧]، وإنْ سَطَا[٨] فَرَس[٩]، لا يُقَلْقَلُ له الحصَى[١٠]، ولا تُقْرَعُ له العَصا[١١]، ولا يَمشي السُّمَّهى[١٢]».

---

(١) وافقتم: وَجَدْتم .

(٢) الثائر : الآخذ بالثأر .

(٣) رجلٌ مُقتَبَلُ الشَّباب : كأنه يَستأنفُ الشبابَ كل ساعةٍ، أي: لا يُرى عليه أثر كِبَرٍ .

(٤) يقال: رجلٌ حديدُ البَصَر : أي: نافذ الرَّأي، ورجلٌ حديد القلب: أي: شجاعٌ شديد البأس ثـابت الجَنان، ورجلٌ حديدُ الناظر: أي لا يُتّهم بريبة فيكون عليه غَضاضة فيها. ويقال: رجلٌ حديدٌ، فيكون في اللِّسَـنِ والفَهْـمِ والغَضَب والفِعْل من ذلك كله.

(٥) رمى الدهر ببصره : نظر إليه واقتحمه وازدراه، كأنه يريد أنه صاحب همةٍ بعيدةٍ وآمالٍ كبيرةٍ، يضيق الدَّهرُ بها ولا يتسِعُ لتحقيقها .

(٦) الأشرُ : المَرَحُ والبطرُ والتَّبختُرُ والاختيال.

(٧) نَهَسَ اللحمَ : أخذَه بمُقدَّم أسْنانهِ وانتزعَهُ .

(٨) سطا: صَالَ وبَطش .

(٩) فَرَس الفريسةَ: أخذَها فدَقَّ عُنُقَها .

(١٠) قلقل الشيء : حَرَّكَهُ فتحرَّك واضطرب. وقد تُقَلقِلُ صغارَ الحَصَى في المحلاة ونحوها تُوهـم فَرسَك بأنه قـوم أو غـيره. يريد أنه حَذِر لا يُخدَع. وفي المثل : «لا تُقْرَعُ له العَصَا، ولا تُقَلْقَلُ له الحصى». يُضربُ للمُحنَّكِ المُجرَّب. (مجمع الأمثال ٣ : ٢٠٤) .

(١١) لا تُقْرَع له العَصَا : أي أنه لا يُخطئ حتى يُنَبَّه إلى خطئه. وفي المثل : «إن العَصَا قُرِعَتْ لذي الحلم». يُضـربُ لمـن إذا نُبِّـه انتبه . (مجمع الأمثال ١ : ٦٢) .

(١٢) السَّمْهُ والسُّمَّهَى والسُّمَيْهى: كله الباطل والكذب. ويقال : جَرَى فلانٌ السُّمَّهى: أي: جَرَى إلى غير أمْرٍ يَعْرِفُهُ.

(٢) خُطَبٌ لِعُمالٍ مُختَلِفينَ

١ـ خُطْبَةٌ للمُغيرة بنِ شُعْبَةَ الثَّقَفيِّ بالكُوفة

تاريخ الرسل والملوك ٥: ١٨٤
والكامل في التاريخ ٣: ٤٢٦

بلَغ المغيرةَ بن شُعْبَةَ أنَّ الخوارجَ استَعَدُّوا للخُروج عليه، وأنَّهم قد اجْتمعُوا على رجلٍ منهم، فقامَ في النّاسِ، فحمدَ الله وأثنَى عليه، ثم قال :

«أمَّا بعدُ، فقد علمتم أيُّها الناسُ أني لم أزلْ أحبُّ لجماعَتِكم العافيةَ، وأكفُّ عنكم الأذى. وإنّي وا لله لقد خشيتُ أنْ يكونَ ذلك أدب سوءٍ لسفهائكم، فأمّا الحُلماء الأتْقياءُ فلا. وأيمُ الله لقد خشيتُ ألاّ أجدَ بدًّا من أن يُعصَبَ[١] الحليمُ التقيُّ بذنْب السَّفيه الجاهل. فكفُّوا أيُّها الناسُ سفهاءَكم قبلَ أن يَشْملَ البلاءُ عوامَّكم[٢]. وقد ذُكرَ لي أنَّ رجالاً منكم يُريدون أنْ يَظهرُوا في المصر بالشِّقاق[٣] والخلافِ. وأيمُ الله لا يَخْرجُون في حيٍّ من أحياءِ العربِ في هذا المصْرِ إلا أبَدْتُهم وجعلْتُهم نكالاً[٤] من بعدهم، فنظرَ قومٌ لأنفسِهم قَبْلَ النّدمِ، فقد قمتُ هذا المقامَ إرادةَ الحجةِ والإعذار[٥]».

(١) يُعْصَبُ به : يُقْرَنُ به ويُنْسَبُ إليه، والمراد: يُؤْخَذُ به ويعاقب عليه.
(٢) العَوَامُّ : أي: جميع الناس .
(٣) الشقاق: العداوة والخلاف.
(٤) النَّكال: العِبْرة، يقال: نَكَّلَ به تنكيلاً، أي: عاقبه عقاباً جعله نكالاً وعِبْرةً لغيره إذا رآه خاف أنْ يَعْمل عمله.
(٥) الإعْذارُ : إبداءُ العُذرِ .

٢ ـ خُطْبَةٌ للنُّعمانِ بنِ بشيرٍ الأنْصَارِيِّ بالكُوفَةِ

تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٥٥
والكامل في التاريخ ٤: ٢٢

لَمَّا دَخَلَ مُسْلِمُ بنُ عَقِيلٍ الكُوفَةَ نزل دار المُخْتارِ بنِ أبـي عُبَيْدٍ، وأقْبَلتِ الشِّيعةُ تَختَلِفُ إليه، فكلَّما اجتمعتْ إليه جماعةٌ منهم قـرأ عليهـم كتـابَ الحسـين بـن عليٍّ، فـأخَذُوا يَبْكُـون ويَعِدُونَهُ القتالَ والنُّصْرَةَ، حتى عُلِمَ مَكانُهُ. وبلَغ ذلك النُّعمان بن بشيرٍ، فَصَعِـدَ المِنـبرَ، فحمِـدَ الله وأثنى عليه، ثمَّ قال:

«أمَّا بعدُ، فاتَّقُوا الله عبادَ الله، ولا تُسارِعُوا إلى الفتنةِ والفُرْقةِ، فإنَّ فيهمـا يَهلِـكُ الرِّجـالُ، وتُسفَكُ الدماءُ، وتُغْصَبُ الأموالُ. إنِّي لم أقاتلْ مَنْ لم يقاتلني، ولا أثبُ[1] على مَن لا يَثبُ عليَّ، ولا أُشاتِمكم، ولا أتحرَّشُ[2] بكم، ولا آخـذُ بـالقَرْفِ[3] ولا الظِّنـةِ[4] ولا التُّهمَـة، ولكنكـم إن أبديتـمْ صَفْحَتَكُـم[5] لي، ونَكَثْـتُـمْ[6] بَيْعتَكـمْ، وخَـالفتُم إمـامكم، فـوالله الـذي لا إلـهَ غـيرُه لأضربنَّكم بسَيفي ما ثَبَتَ قائمهُ في يَدي، ولو لم يكن لي منكم ناصرٌ. أما إنِّي أرجو أنْ يكونَ من يَعرِفُ الحقَّ منكم أكثر ممن يُرْدِيهِ[7] الباطلُ» .

---

(١) وَثَبَ عليه: استَوْلَى عليه وَظَلَمه .

(٢) تَحَرَّش به : هَيَّجَهُ وأثاره .

(٣) قَرَفَهُ بالشيء قَرْفاً : أضافه إليه واتَّهَمَهُ به .

(٤) الظِّنَّة : التُّهمة.

(٥) صَفْحة الرَّجل : عُرْضُ وَجْهه . وأبْدَى له صَفْحَتَه : كاشفه وأظهر له فِعْلَهُ الذي كان يُخْفِيه.

(٦) نكثَ البَيعةَ :نَقَضها.

(٧) يُرْدِيه : يُهْلِكُهُ .

٣ـ خُطْبَةٌ للنُّعْمانِ بنِ بشيرٍ الأنْصاريِّ بالكُوفَةِ

العقد ٤ : ١٣٦

خَطَبَ النُّعْمَانُ بنُ بشيرٍ أَهلَ الكُوفةِ، فَقَالَ :

« إنّي وا للهِ ما وجدتُ مَثَلي وَمَثَلكم إلاّ الضَّبُعَ والثّعلبَ، أتيا الضَّبَّ في جُحرِهِ، فقالا: أبا حِسْلٍ، قال : أجَبْتكما؟ قالا: جِئناكَ نَختَصِمُ[1]. قال: في بيتهِ يؤتَى الحَكَمُ[2]. قالت الضَّبُعُ: فتحتُ عيني. قال: فِعْلَ النِّساء فَعَلْت. قالت: فَلَقطْتُ تَمرةً. قال: حُلْواً اجْتَنيتِ. قالتْ: فاختطَفَها ثُعالةُ. قال:لِنَفْسِه بغى الخَير. قالت: فَلَطَمْتُهُ لَطْمةً. قال: حقّاً قَضَيْتِ. قالت: فَلَطمني أخرى. قال: كان حُرّاً فانْتصَرَ. قالت: فاقْضِ الآن بَيننا. قال: حَدِّثِ امرأةً حَدِيثَين، فإنْ أبَتْ فارْبِعْ، أي اسكتْ»!

٤ ـ خُطْبَةٌ لِروْحِ بن زِنْباعٍ الجُذاميِّ بالمَدينةِ بَعْدَ مَوْتِ يَزيد بنِ مُعَاويةَ

مروج الذهب ٣ : ٩١

والبيان والتبيين ١ : ٣٠٠

لَمّا هَلَكَ يزيدُ بنُ مُعَاوية نُعِيَ ذلك إلى الحُصَيْنِ بنِ نُمَيْرٍ السَّكونيِّ ومَنْ معه مِنْ جيشِ أهْلِ الشام الذين كانوا يُحَارِبُون عَبْدَ الله بن الزُّبَيْر، فهادنوهُ ونزلوا مكة، وعَرضَ عليه الحصينُ بنُ نميرٍ أنْ يَحْمِلَه إلى الشَّام، ويُبَايعَ له بالخلافةِ، فأبى، فانْصرَفَ أهْلُ الشَّام إلى بلادهم. فلما صارُوا إلى المدينة جعلَ أهْلُها يَهتِفُونَ بهم ويَتوعَّدُونهم، ويَذكرونَ قتلاهم بالحرَّة. فلمَّا أكْثَرُوا من ذلك، وخاف أهْلُ الشامِ الفِتْنةَ وهَيْجَها، صَعِدَ رَوْحُ بن زِنْباع الجُذاميُّ على مِنْبَرِ رسولِ الله ﷺ، وكان في ذلك الجيش، فقال :

«يا أهلَ المدينةِ، ما هذا الإيعادُ الذي تُوعِدُونَنَا؟ إنّا وا لله ما دعوْناكُم إلى كلبٍ لمبايعةِ رجل منهم، ولا إلى رجل من بَلقَين، ولا إلى رجل من لخمٍ أو جُذَامٍ، ولا غَيْرهم من العَرَب، ولكن

---

(١) نَختَصِمُ: نَحْتكِم.

(٢) في بَيْتِهِ يؤتى الحَكَمُ: الحَكَمُ: الحاكم. وهذا المَثَلُ مما زعمتِ العَرَبُ عن ألْسُنِ البهائم. وقد ذكره الميداني بقريبٍ من لَفْظِه في خطبة النعمان بن بشير . (مجمع الأمثال ٢ : ٤٤٢) .

دَعَوْناكم إلى هذا الحيِّ من قريش[1]، ثم إلى طاعة يزيدَ بنِ معاوية، وعلى طاعَته قَاتلناكُمْ! فإيَّانا تُوعِدُون؟ أما وا لله إنَّا لأبناءُ الطَّعنِ والطَّاعون، وفَضَلاتُ الموتِ والمَنُونِ! فما شئتم » ؟

٥ ـ خُطْبَةٌ لِحُبَيْشِ بن دُلْجَةَ القَيْنِيِّ بالمدينةِ

أنساب الأشراف ٦ : ٢٩٠

وَجَّهَ مَرْوَانُ بن الحَكَمِ جيشاً من فلسطينَ مع حُبَيْشِ بن دُلْجَةَ القَينِيِّ إلى عبدِ ا لله بنِ الزُّبَيْرِ، فَوَجَّه ابنُ الزبيرِ من مكة مَسْروقاً النَّصريَّ، فَهَزَمَهُ حُبَيْشُ بن دُلْجَةَ، وَقَتَلَ من أصْحابِهِ خَلْقاً، وَدَخَلَ المدينة، فَنَزلَ دَارَ مَرْوانَ، وخطبَ على منبرِ رسول ا لله ﷺ ، فقالَ:

«يا أهْلَ المدينةِ، نِفاقُكُمْ[2] قديمٌ بقولِ ا لله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠]، كيفَ رأيتُمْ صُنعَ[3] ا للهِ بكم؟ وا للهِ لا يَتكَلَّمُ أحَدٌ منكم بكلمةٍ إلاَّ ضَرَبْتُهُ بِسَيْفي هذا»!

---

(١) يعني بني أمية .

(٢) النِّفاقُ : الرِّياء، وهو أنْ يُظْهِرَ الرجلُ خِلافَ ما يُبْطِنُ .

(٣) صَنَعَ به صَنيعاً قبيحاً : أي: فَعَلَ. وصَنَع ا لله به: عاقَبَه. وصَنَعَ له: أحسن إليه .

(٣) خُطَبٌ للحجّاجِ بن يُوسُفَ الثّقَفِيِّ

١ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ بمكَّةَ بعدَ مَقْتلِ عبدِ الله بن الزُّبير

تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٥٣
ووفيات الأعيان ٢ : ٤٠
وسرح العيون ص : ١٨٤

لـمّا قَتَلَ الحجَّاجُ بن يُوسُفَ عبدَ الله بن الزُّبير ارْتَجَّتْ مكَّةُ بالبكاءِ، فأمرَ النَّاسَ فاجْتَمَعوا في المسجدِ، ثم صَعِدَ المِنبرَ، فَحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أهْلَ مكة، بلغني بكاؤكم واسْتِفظاعكم[1] قتلَ ابن الزُّبيرِ. ألاَ وإنَّ ابنَ الزُّبير كان من أخْيار[2] هذه الأمَّةِ، حتى رَغِبَ في الخلافةِ، ونازعَ فيها أهلَها، فخلعَ طاعَةَ اللهِ، واعتصمَ بحَرمِ[3] اللهِ. ولو كان شيءٌ مانعاً العُصَاةَ لَمَنَعتْ آدم حُرْمَةُ الجنةِ، لأنَّ الله خَلَقَهُ بيدِهِ، ونَفخ فيه من رُوحِه، وأسْجَدَ له ملائكَتَهُ، وأباحَهُ كرامَتَهُ وأسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، فلمّا أخطأ أخرجَهُ من الجنَّة بخَطِيئتِهِ. وآدم أكرمُ على الله من ابنِ الزُّبيْر، والجنةُ أعظَمُ حُرمةً من الكعبة. اذْكُرُوا الله يَذْكُرْكُمْ».

٢ ـ خُطْبَةُ الحجَّاجِ بن يُوسُفَ بالكُوفَةِ حين اسْتُعْمِلَ على العِراق

البيان والتبيين ١ : ٣٨٠
وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٣
وأنساب الأشراف ٧ : ٢٧٣
والكامل للمبرد ١ : ٣٨٠
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٠٢
والعقد ٤ : ١١٩
ومروج الذهب ٣ : ١٣٤
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٥٦

---

(١) اسْتَفْظَعَ الشيءَ : اسْتَشْنَعَهُ واسْتَقْبَحَهُ .

(٢) أخيار: جمع خَيْرٍ وخَيِّرٍ، وهو الفاضل الصالح . وفي بعض الروايات: «أحْبار»، جمع حَبْرٍ، وهو العالم .

(٣) حَرَمُ الله : المسجدُ الحرام.

والكامل في التاريخ ٤ : ٣٧٤
ووفيات الأعيان ٢ : ٣٣
وسرح العيون ص : ١٧٦
والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٧
وصبح الأعشى ١ : ٢١٨

خَرَجَ الحجَّاجُ يريدُ العِراقَ والياً عليها في اثنيْ عشَرَ راكباً على النَّجائبِ، حتى دَخَلَ الكوفةَ فجأةً، حين انتشرَ النَّهارُ، وقد كانَ بِشْرُ بنُ مَرْوانَ بعثَ المُهَلَّبَ إلى الحَرُورِيَّةِ. فَبَدأ الحجَّاج بالمَسْجدِ، فَدَخَلَهُ ثم صَعِدَ المنبرَ، وهو مُتَلثِّمٌ بِعِمامةٍ خَزٍّ حَمْراءَ، فقالَ: عليَّ بالنَّاسِ، فَحَسبُوهُ وأصحابَهُ خوارجَ، فهمُّوا به، حتى إذا اجتمعَ النَّاسُ في المَسْجِدِ، قام فكشفَ عَنْ وَجْهِهِ ثم قال[1]:

أنا ابْنُ جَلاَ[2] وطَلاَّعُ الثنَايَا[3] متى أضعِ العِمَامَةَ تَعْرِفونِي[4]

(١) البيت من قصيدةٍ مشهورةٍ لسُحَيْم بن وَثيلٍ الرِّياحي. (انظر الأصمعيات ص : ١٧، وطبقات فُحول الشعراء ٢ : ٥٧٩، والشعر والشعراء ٢ : ٦٤٣، ومجالس ثعلب ١: ١٧٦، وخزانة الأدب ١: ١٢٣) .

(٢) ابن جَلا : الصُّبْحُ لأنه يجلو الظلمة. والمراد: المنكشف المشهور الأمر، أي أنا الظاهر الذي لا يَخْفى، وكُلُّ أحدٍ يَعْرِفني. (اللسان : جلا) .

(٣) طَلاَّعُ الثنايا : الثَّنايا: جَمْعُ ثَنِيَّةٍ، وهي الطريق في الجبل. يريد أنه جَلْدٌ يَطْلُعُ الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها، أو أنه رَكّابُ المَشاقِّ، أو السَّامي لمعالي الأمور، أو الذي يَعْلو الأمور فيقهرها بمعرفته وتجاربه وَجوْدة رأيه .

(٤) متى أضَعِ العمامة تَعْرفوني : قال ابن قتيبة: يريد أنه مَشْهُورٌ لا ينكر، ويحتمل أيضاً أنه يريد متى أكاشفكم وأدَعِ الأناةَ فيكم تعرفوني حينئذٍ حَقَّ معرفتي، من قولك: ألقيتُ القناعَ: إذا كاشفت.

وقال التبريزي: أي: متى أسْفِرُ وأحْذُرُ اللِّثامَ عن وَجْهي تنظروا إليَّ فتعرفوني.

وقال أبو العباس ثعلب: « العمامةُ تُلْبَسُ في الحرب وتُوضَعُ في السلم » .

(مجالس ثعلب ١ : ١٧٦، واللسان: جلا، وخزانة الأدب ١ : ١٢٥).

وشرح ذلك الأستاذ محمود شاكر، فقال: «كانت شجعان العرب يَلْبَسون عَمائِم مُشَهَّرةِ الألوان في الحرب يُعرفوَن بها في الأحياء، فيكون طَلَبُهم للشهرَة بها أدلَّ على أنهم لا يُبالُونَ من شدةِ بأسهم، ومنه قيل: فارسٌ مُعْلِمٌ». (طبقات فحول الشعراء ٢ : ٥٧٩، الحاشية : ٥).

وقال: «رجلٌ مُعْلِمٌ: يُعْلَمُ مكانه في الحرب لعلامةٍ أعْلَمَ بها نفسه من صوفٍ أو عمامةٍ ذاتِ لونٍ مُشَهَّرٍ، وكذلك كان يفعل أهلُ البأسِ في الحرب، لا يخافونَ قَصْدَ العَدُوِّ لهم بالطَّعْنِ والنَّبْلِ».

(طبقات فحول الشعراء ٢ : ٥٤٢، الحاشية : ٢) .

=

أمَا وا للهِ إنّي لأحْتَمِلُ الشرَّ بحمْله[١]، وأحْذوهُ بِنَعلِهِ[٢]، وأجْزيه بمثلهِ[٣]، وإنّي لأرَى رُؤوساً قد أينعتْ، وحانَ قِطَافُها[٤]، وإنّي لَصَاحِبُها! وإنّي لأنْظُرُ إلى الدِّماءِ تَرقْرَقُ[٥] بينَ العمائمِ واللّحى، قد شَمَّرتْ عَنْ سَاقِها فَشَمِّري[٦]، ثم قال[٧] :

=

وضَعَّفَ عبدُ القادر البغداديُّ ما ذهب اليه ثعلب وخطّأه، فقال : «هذا خلافُ الواقع وضدُّ معنى البيت» . (خزانة الأدب ١ : ١٢٥) .

ثم أورد شروحَ عِدَّةٍ من العُلماء للملك، منها كلامُ ابن الحاجب، وهو: «إمّا أن يريد كثرة مُباشَرَته الحروبَ، فلا يَراهُ الأكثرُ إلاّ بغير عمامةٍ، فقال: متى أضَعُ العمامة يَعْرفني الذي ما رآني إلاّ غيرَ مُتَعمِّم، أو يريد أنني بكثرةِ مباشرتي الحُروب، ولباسي بيضة الحرب، فمتى أضعُ العمامةَ، وألبسُ آلة الحرب يَعْرفوني. يعني إذا حاربت عُرِفت بإقدامي وشجاعتي».

قال البغدادي: «والوَجْهُ هو الأوّلُ، وقد لَحَظَهُ ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فأخذه وضمَّنَهُ ببعض تغيير في الرشيد عمر الغوي، وكان به داء الثعلب، وهو من نوادر ما قيلَ في أقرعَ، وقال:

عَجِبْتُ لِمعْشرٍ غَلِطُوا وغصُّوا ... مِنَ الشيخ الرشيد وأنْكَروهُ

هو ابنُ جَلاَ وطَلاّعُ الثّنايا ... متى يَضَعِ العمامةَ يَعْرِفُوهُ».

ومنها كلام الكِرْماني، وهو:«قولـه: «متى أضَع العِمامةَ » يحتمل مَعْنيين بحسب اختلافِ التقْديرَين: الأول: أن يُقدَّرَ «على»، فيكون التقدير: متى أضع العمامة على رأسي تعرفوني أني أهْلٌ للسيادة والإمارة، والثاني: أن يُقَدَّرَ « عن» أي: متى أضع العمامة عن رأسي تعرفوا شجاعتي بواسطة صَلَعِ رأسي، لأنه أحدُ مخايلِ الشجاعة». (خزانة الأدب ١: ١٢٥).

والراجح: أن المعنى المراد هو متى أنْزِعُ عمامتي، وأحْسُرُ نقابي تَعْرِفوني .

(١) أحْتَمِلُ الشَّرَّ بحمْله: يريد أنه يَقْوَى على الشرِّ الشديد ويُطيقُهُ، وأنّه لا يَنْكسرُ له ولا ينوءُ به.

(٢) أحْذُوه بنَعْله: أي: أرُدُّ عليه بمثله، أخذه من قولهم: «حَذْو النَّعْلِ بالنَّعْلِ»، وهو يُضْرَبُ في التّسْويةِ بين الشيئين. (انظر مجمع الأمثال ١: ٣٤٧) .

(٣) أجْزيه بمثْلِه: أي: أُعاقِبُ على الشَّرِّ بالشَّرِّ .

(٤) أيْنَعَت وحانَ قِطافها : أيْنَعَتِ الثمرة: أدركت ونَضَجَتْ، والقِطافُ: أوانُ قطف الثمر. ومن المجاز: قَطَفَ رأسَهُ: أي: قَطَعَهُ . شبَّه رؤوسهم لاستحقاقِهم القتل بثمارٍ قدْ حانَ أن تُجْتَنى .

(٥) تَرَقْرَقُ: تَسيلُ وتَجري جَرْياً سَهْلاً .

(٦) في المثل: « قد شَمَرَتْ عن ساقها فَشَمِّري»: شَمَّرَ في الأمر: جَدَّ فيه واجْتَهدَ. والتاء في «شَمَّرتْ» للداهية، والخطاب في «شَمِّري»، على التأنيث للنَّفْسِ. وهو يُضرَبُ في الحَثِّ على الاجتهادِ في الأمر. (مجمع الأمثال ٢ : ٤٧٧) .

(٧) الرجز لرُشَيدِ بن رُمَيضٍ العَنزيِّ، قاله في الحُطَمِ، وهو شُرَيْحُ بنُ ضُبَيْعَة، وكان غزا اليمنَ في جموع جمعها من ربيعة، فَغَنِمَ وسَبَى بعدَ حربٍ كانت بينه وبين كندة، أسير فيها فرْعان بنُ مهديِّ بن مَعْدِ يكرب، عمُّ الأشعث بن قيس، وأخذ

=

هَـذَا أَوَانُ الشَّـدِّ فاشْـتدِّي زِيَـمْ[١] قَـدْ لَفَّهَـا اللَّيْـلُ بسَـوَّاقٍ حُطَـمْ[٢]

لَيْـسَ بِراعِـي إِبِـلٍ وَلا غَنَـمْ[٣] وَلا بجَـزَّارٍ عَلَـى ظَهْـرِ وَضَـمْ[٤]

وقال أيضاً:[٥]

قَـدْ لَفَّهَـا اللَّيْـلُ بِعَصْلَـيٍّ[٦] أَرْوَعَ خَـرَّاجٍ مِـنَ الـدَّوِّيِّ[٧]

مُهَـاجِرٍ لَيْـسَ بِـأَعْرابِيِّ[٨]

= على طريق مفازةٍ، فَضَلَّ بهم دَليلُهم، ثم هرب منهم، ومات فرعان في أيديهم عطشاً، وهلك منهم ناس كثير بالعطش. وجعل الحطمُ يسوق بأصحابه سَوْقاً عنيفاً، حتى نَجَوْا ووردوا الماءَ. فقال رشيد فيه ذلك الرجز، ولُقِّبَ يومئذ «الحُطَمَ»، لقول رشيدٍ هذا فيه. (الأغاني ١٥ : ٢٥٤ـ ٢٥٥).

(١) في المَثَل: « هذا أوَانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زِيَم»: شَدَّ واشْتَدَّ: عَدَا . وزيم في هذا الموضع: اسم فرس. وهو يُضْرَبُ للرَّجلِ يُؤمَرُ بالجدّ في أمْرِه. (مجمع الأمثال ٣ : ٤٧٦، واللسان: زيم) .

(٢) قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاق حُطَم: لفّها: جَمَعَها. والحُطَمُ: العَسُوفُ العَنيفُ، كأنه يحطمُ المال، أي: الإبل لِعنفِهِ في السَّوْق. ورجلٌ حُطَمٌ وحُطَمةٌ: إذا كان قليل الرحمةِ للماشية يهَشمُ بعضها ببعض. وفي المثل: «شرُّ الرِّعاءِ الحُطَمةُ»: وهو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصْدار، ويُلقي بعضَها على بَعضٍ ويَعْسِفُهَا. يضرب مثلاً لوالي السوء، أو لِمَنْ يلي شيئاً ثم لا يُحْسِنُ ولايته. (مجمع الأمثال ٢ : ١٥٩، واللسان: حطم) .

(٣) ليس براعي إبل ولا غَنَم: يريد أنه عظيمُ القَدْرِ ليس ممن يَرْعَى .

(٤) ولا بجزَّار على ظَهْرٍ وَضَم: الوَضَم: كلُّ ما وُقِيَ به اللحمُ من الأرض من خَشَبة أو خَصَفةٍ أو خوانٍ أو غيره. يريد أنه ليس ممن يأخُذُ اللحمَ بيده ويَبْتَذِل، ولكنه يلقى ذلك كرماً.

(٥) الرجز في اللسان: عصلب. وهو بمجهول القائل .

(٦) قد لَفَّها الليلُ بعَصْلِيٍّ : لَفَّها : جَمَعها، والضمير في « لفها» للإبل. والعَصْلِيُّ: الشديد الباقي على المَشْي والعمَل. وهو مثلٌ ضربَه لنفسه وَرعيَّته، فجعلهم بمنزلةِ ناقةٍ أو إبلٍ لرجلٍ قويٍّ شديد يَسْري ويَتْبَعُها ولا يَرْكنُ إلى دعةٍ ولا سُكون، وجعل نفسَهُ بمنزلة ذلك الرجل.

(٧) أرْوَع خرَّاج من الدَّوِّيِّ : الأروع: الذكيُّ . والدَّوِّي: المنسوب إلى الدَّوِّ، وهو صحراء ملساء لا عِلمَ بها ولا أمارة. والدَّوِّيَّةُ: الأرض الفضاء التي تسمع لها دوياً بالليل، وإنما ذلك الدَّوِيُّ من أخفافِ الإبل تنفسح أصْواتها فيها. وتقول جَهَلةُ الأعراب: إن ذلك عزيف الجن! يريد أنه خَرَّاجٌ من كل عَمَّاء شديدة، أو يريد أنه صاحبُ أسفارٍ ورِحَلٍ، فهو لا يزال يخرج من الفَلَوات. ويحتمل أن يكون أراد به أنه بصيرٌ بالفلواتِ فلا يَشْتَبِهُ عليه شيءٌ منها.

(٨) مهاجر ليس بأعرابيٍّ: يريد أنه ترك البدو إلى المدن، فأفاد خبرة وحنكة لم يُفِدْهَا الأعرابيُّ في بداوته.

إنّي والله يا أهلَ العراق، والشقاق[١] والنفاق[٢]، ومساوئ الأخلاق ما أُغْمَزُ تَغْمَازَ التين[٣]، ولاَ يُقعقَعُ لي بالشّنان[٤]، ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاء[٥]، وفُتِّشْتُ عن تجربة[٦]، وَجَرِيتُ إلى الغاية.[٧] إنّ أميرَ المؤمنينَ كَبَّ كِنَانَته[٨]، ثم عَجَمَ عيدانَها[٩]، فوجدني أمرَّها عوداً[١٠]، وأصلَبَها عَمُوداً[١١]، فوجّهني إليكم، فإنكم طالما أوضَعْتُمْ في الفتن[١٢]، واضْطَجعتُمْ في مراقد الضلال[١٣]، وسَنَنْتُمْ سُنَنَ الغَيّ[١٤]. أمَا والله لأَلْحُونَّكُمْ لَحْوَ العَصا[١٥]، ولأَعْصِبَنَّكُمْ

(١) الشقاق: العداوة والخلاف.

(٢) النفاق: الرِّياء، وهو أن يُظْهِرَ الرجلُ غيرَ ما يُبْطِنُ.

(٣) ما أغمز تغماز التين: غمز الشيء: عصره بيده ولَيّنه. يريد أنه صُلبٌ شديد.

(٤) الشنان: جمع شن وشَنّة، وهي القربة البالية اليابسة .

وفي المثل: «فلان لا يقعقع له بالشّنان»: أي: لا يُخْدَع ولا يُروّع. وأصله تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع. (اللسان: قعع).

(٥) فررت عن ذكاء: فرّ الدابة: كشف عن أسنانها لينظر ماسنها ويعرف عمرها. والذكاء: نهاية الشباب وتمام السن. يريد أنه اختبر لكمال رجولته.

(٦) فُتِّشتُ عن تجربة: اختُبِرْتُ وامتُحِنتُ. يريد أنه اختبر لقُدْرته وحنكته وخبرته.

(٧) في الأصل: «من الغاية». والغاية: قَصَبَةٌ تُنصَبُ في المَوْضِع الذي تكون المُسابقة إليه، ليأخذها السّابق. أي: أنّه جَرَى حتى بلغ النهاية، وأحرز قَصَبَ السّبق. يريد أنه جلْدٌ قوي لا يُبارَى ولا يُجارى.

(٨) كبّ كنانته: نَثَرها أو قلّبها على وَجْهها ليخرجَ ما فيها من السهام. والكنانة: جُعْبَة السِّهام تتخذ من الجلود.

(٩) عجَمَ عيدانها: عَضّها ومَضَغَها لِيَنْظُرَ أيُّها أصلبُ. هذا مثل ضَرَبهُ لنفسه ولأمثاله من رجال السُّلطان. يريد أنّه اختبر أصحابَه فوجدني أمَرَّهم وأصلَبَهم، فرماكم بي .

(١٠) أمَرها عوداً: أي: أصلَبها.

(١١) العَمُود: العصا. وفي الروايات الأخرى «أصلبها مَكسراً»، وهي أجود . والمَكْسَرُ: مَوْضِعُ الكسر. وعودٌ صُلْبُ المكسر: إذا عُرِفَتْ جَودَتُهُ بكسره. ومن المجاز: رجلٌ صُلْبُ المكسر: أي: باقٍ على الشّدة، وأصله من كَسْرك العود لتَخْبُرَ أصُلْبٌ أم رَخْوٌ.

(١٢) أوْضَعْتُمْ في الفتن: أسْرعْتُمْ إليها.

(١٣) اضطجعتم في مَراقد الضّلال: اضطجع: استُلقِيَ ووَضع جنبه بالأرض . والمراقد: جمع مَرْقَدٍ وهو المضجع. أي: لَزِمْتم الضّلال ولم تُفارقوه.

(١٤) الغي: الضلال والخيبة.

(١٥) لحَا العَصَا والشجرَةَ: نَزَعَ لِحاءَها. أي: قِشْرها.

عَصْبَ السَّلَمة[١]، ولأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرائِبِ الإبِـــل[٢]! فـإنكم لَكَـأهْل ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. وإنّي والله لا أعدُ إلاّ وَفيتُ، ولا أهُمُّ إلاّ أمضيـــتُ، ولا أخلُق[٣] إلاّ فَرَيْتُ![٤] فإياي وهذه الجماعات[٥]، وقالَ وقيل، وما تقولُ! وفيمَ أنتم وذاك! أما والله لتستقيمُنَّ[٦] على طريق الحقّ أو لأدعنَّ لكلّ رجلٍ منكم شُغُلاً[٧] في جَسَـــده! مَنْ وَجَدْتُ بعد ثلاثةٍ من بعث المُهلَّبِ سفكتُ دَمَه[٨]، وأنهبتُ ماله[٩]»!

---

(١) لأعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلَمة: السَّلَمة شجرةٌ من العِضَاه، ذات شوك، وورقها القَرَظُ الذي يُدْبَغُ به الأدَمُ، ويَعْسر حرْط ورقها لكثرة شوكها، فتُعْصَبُ أغصانها بأنْ تُجْمَعَ ويُشدَّ بعضها إلى بعض بحبل شـــداً شـديداً، ثـم يَهْصُرُها الخابط إليه، ويَخْبِطُها بعصاً، فيَتَناثر ورقُها للماشية ولمن أراد جَمْعَه. وقيل: إنما يُفْعلُ بها ذلـــك إذا أرادوا قطعَها حتى يُمْكِنَهم الوُصولُ إلى أصلِها.

(٢) لأضربنكم ضربَ غرائب الإبل: قال ابن الأثير: (هذا مثلٌ ضَرَبه لنفسه مع رَعيَّته يُهدِّدهم، ذلك أن الإبل إذا وردت الماءَ فَدَخلَ عليها غريبةٌ من غيرها ضُرِبَتْ وطُرِدَتْ حتى تخرج عنها). (اللسان: غرب).

وقال الميداني: (ضَرَبَهُ ضربَ غرائبِ الإبلِ: وذلك أنَّ الغريبة تَزْدَحم على الحياض عندَ الـــوِرْدِ، وصـاحبُ الحوض يَطْرُدها ويضربها بسبب إبله، ومنه قول الحجّاج في خطبته يهدّد أهل العراق: (والله لأضربنكـــم ضَـــرْبَ غرائب الإبل)، يُضْرَبُ في دَفْع الظّالم عن ظُلْمِه بأشدّ ما يمكن). (مجمع الأمثال ٢ : ٢٦٠).

(٣) أَحلُق: أقدّر، والخَلْقُ التقدير .

(٤) أفري: أقطع.

(٥) إيّايَ وهذه الجماعات: نَهاهُمْ أن يَجتمِعُوا .

(٦) استَقَامَ على طريقِ الحَقِّ: دامَ عليه وثَبَتَ.

(٧) الشغل: الهَمُّ والأمرُ الذي يُتعلّقُ به.

(٨) سفكت دمه : أرَقْـــتُهُ وأجْرَيْتُهُ، أي: قَتَلْته.

(٩) أنْهَبْتُ مالَهُ: أبَحْتُهُ لمن شاء.

٣ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ بالكُوفَةِ

أنساب الأشراف ٧ : ٢٧٦، ١٣ : ٣٥٧
والبيان والتبيين ٢ : ١١٤
والكامل للمبرد ١ : ٢٧٠
وتاريخ الرسل والملوك ٦ : ٢٠٦
والعقد ٤ : ١١٥
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٦٢
والكامل في التاريخ ٤ : ٣٧٧
وشرح نهج البلاغة ١ : ٣٤٣

لَمَّا كانَ اليومُ الثالثُ من مَقْدَمِ الحجَّاجِ بن يُوسُفَ الكُوفةَ سَمِعَ في السُّوقِ تكبيراً عالياً، فَصَعِدَ المنبر، فقالَ:

«يا أهْلَ العراقِ، يا أهْلَ الشِّقاقِ[١] والنِّفاقِ[٢]، ومساوئِ الأخْلاقِ، إنّي سَمِعْتُ تكبيراً ليسَ بالتكْبير الذي يُرادُ به الله في التَّرْغيبِ، ولكنه تكْبير يُرادُ به التَّرهيبُ[٣]، وقد عَرَفْتُ أنها عَجَاجة[٤] تحتها قَاصِفٌ[٥]. أيا بني اللَّكِيعةِ[٦]، وعَبِيدَ العَصَا[٧]، وأبناءَ الأيامى[٨]، إلاّ يَرْبَعْ أحَدُكم على ظَلَعِهِ[٩]، ويُحْسِنْ حملَ رأسِهِ،

---

(١) الشِّقاق: العَداوَةُ والخلافُ.

(٢) النِّفَاقُ: الرياء، وهو أنْ يُظْهِرَ الرجلُ غيرَ ما يُبْطِنُ.

(٣) التَّرهيبُ: التخويف .

(٤) العَجاج: الدُّخانُ، والعَجَاجَةُ أخَصُّ منه .

(٥) القاصف: الرَّعْدُ الشديدُ الصَّوْتِ.

(٦) اللكيعة: الأمة اللئيمةُ الحَمْقَاء .

(٧) عبيد العَصَا: يريد أنهم لا ينْقادُوَن إلاّ بالإذلال. (الكامل للمبرد ١ : ٢٧٢)، أو أنهم إنّما يَهابُونَ مَنْ آذاهم. (أساس البلاغة: عصا). وهذا المثلُ يُضربُ للذَّليل الذي نَفْعُهُ في ضُرِّهِ، وعِزُّهُ في إهانَتِهِ.(مجمع الأمثال٢ : ٣٤٦) .

(٨) الأيامىَ : جمع أيِّم، وهي المرأة إذا مات عنها زَوْجُها، أو قُتِلَ، وأقامَتْ لا تتزَوَّج.

(٩) يقال: ارْبَعْ على نَفْسِك، أي تَمكَّثْ وانْتَظِرْ، أو كُفَّ وارْفِقْ. وارْبَعْ على ظَلْعِكَ مِثلُهُ، والظَّلْعُ: العَرَجُ.
ويقال: ارْبع على ظَلْعِك من رَبَعْتُ الحَجَرَ، إذا رَفَعْتَهُ، أي: ارْفَعْهُ بمقدار طاقتك. هذا أصْلُهُ، ثم صارَ المعنى ارْفقْ على نفسك فيما تُحاوِله. (اللسان: ظلع).

ويَحقِنْ دَمَهُ[١]، ويُبصِرْ مَوْضِعَ قَدَمِه[٢]، فأُقسِمُ با لله لَيُوشِكُ أن أُوقِعَ[٣] بكم وقعةً تَكُونونَ بها نَكالاً[٤] لما قبلَها، وأدباً[٥] لما بعدها»!

٤ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ بالبَصْرَةِ

نهاية الأرب ٧ : ٢٤٤
وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٥
والعقد ٤ : ١٢٤
وشرح نهج البلاغة ١ : ٢٧٨، ١٦ : ١٩٩
وسرح العيون ص : ١٨٤
وصبح الأعشى ١ : ٢٢٠

لـمَّا قَدِمَ الحجَّاج البَصْرَةَ خَطَبَ، فقالَ:

« أيُّها الناسُ، مَن أعياهُ[٦] داؤه فعندي دواؤه، ومَن اسْتَبطأَ[٧] أجَلَه فعليَّ أن أُعجِّلَه، ومَنْ ثَقُلَ عليه رأسُه وَضعتُ عنه ثِقْلَه[٨]، ومَن اسْتطالَ[٩] ماضي عُمْرِهِ قَصَّرتُ عليه باقِيَه. إنَّ للشَّيطانِ طَيْفاً[١٠]، وللسُّلْطانِ سَيْفاً، فَمن سَقِمت سَريرتُه[١١] صَحَّت

(١) حَقَنَ دَمَهُ: مَنَعَهُ أنْ يُسْفَكَ، أو حَلَّ به القَتْلُ فأنْقَذَهُ .

(٢) أبصَرَ مَوْضعَ قَدَمِه: تَصَرَّف بتثبُّتٍ وأناةٍ وحذرٍ، وهو نقيض قولهم: يَخْبِطُ خَبْطَ عشواء، أي: يخطئُ ويُصيبُ كالناقة التي في بَصَرِها ضَعْفٌ تخبط إذا مشت لا تتوقّى شيئاً، ونقيض قولهم: يخبط في عمياء، إذا ركب أمْراً بجهالةٍ، ونقيض قولهم: ركب رأسه، أي: مضى على وَجْهِهِ بغير رَوِيَّة لا يُطيع مُرْشداً.

(٣) أوقع به: أنزلَ به ما يَسوؤه.

(٤) النكال: العبرة، يقال: نكل به، إذا عاقَبَه في جُرْمٍ أجْرَمَه عُقُوبةً تُنكِّلُ غيرَهُ عن ارتكاب مثله، أي: تَدْفعه وتمنعه.

(٥) الأدب: هو ما يَدْعو الناسَ إلى المحامِد، وينهاهم عن المقابح، أي: تُعَلِّمهم حُسْنَ التَّصَرُّف والتَّناولِ للأمورِ في المستقبل.

(٦) أعْيَاه داؤُهُ: بَرَّح به و لم يَبْرَأ منه، وأعْجَزَ الأطبَّاءَ و لم ينفعْ فيه دواء .

(٧) في الأصل: «استطال» . واستَبْطأ أجلَهُ: رآه بَطيئاً، أي: متأخِّراً.

(٨) الثقل: الحِمْلُ.

(٩) استطالَ ماضي عُمْرِه: بمعنى طَالَ عُمْرُه . أي: امتدَّ.

(١٠) طيف الشيطان: مَسُّه ووَسْواسُه .

(١١) سقمت سريرته: فسد ما يكتم وما يخفي.

عُقُوبتُهُ، ومَنْ وَضَعَهُ ذَنْبُهُ رفعَه صَلْبُه، ومن لم تَسعْهُ العافيةُ لم تَضِـقْ عنه الـهَلَكَةُ، ومَنْ سَبَقَتْهُ بادرةُ فَمِهِ[1] سَبَقَ بَدَنَهُ سَفْكُ دمِهِ[2]! إني أُنذِرُ ثمَّ لا أُنظِرُ، وأحذّرُ ثـم لا أعْـذِرُ، وأتوعَّدُ ثم لا أعفُو. إنما أفسَدكم تَرْنيقُ وُلاتكم[3]، ومن استَرخَى لَبَبُـه[4] سـاءَ أدبـهُ. إنَّ الحزمَ والعزمَ سَلباني[5] سَوْطي، وأبْدَلاني بـه سـيفي، فقائمُـه في يَـدي[6]، ونِجَـادُهُ[7] في عُنُقي، وذُبابُه قلادةٌ لمن عَصَاني[8]. وا لله لا آمرُ أحدَكم أن يَخْرجَ من بابٍ مـن أبـوابِ المسجدِ، فيخرجَ مِن البابَ الذي يَليهِ إلاّ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ»!

٥ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ بالبَصْرَةِ

العقد ٤ : ١١٧

ومروج الذهب ٣ : ١٥١

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٧٢

خَطَبَ الحجَّاج النَّاسَ بالبَصْرةِ ، فقالَ:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن: ١٦] فهـذه للهِ وفيهـا مَثُوبـةٌ، ثـم قال: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[التغابن: ١٦]، فهذه لعبدِ اللهِ وخليفةِ الله، وحبيبِ الله عبدِ الملك بن مَرْوانَ. وا لله لو أمَرْتُ النـاسَ أنْ يـأخذوا في بـابٍ واحـدٍ[9] وأخـذوا في بـابٍ غَيْرِه لكانتْ دماؤُهم لي حـلالاً مـن الله، ولـو قُتـل ربيعـةُ ومُضـر لكـان لي حـلالاً.

(١) البادرة من الكلام: التي تَسْبِقُ من الإنسان في الغضب .

(٢) سفك دَمَهُ: أجْرَاه وأساله، أي: قتله.

(٣) ترنيق ولاتكم: التَّرنيقُ: الضعفُ في الأمْرِ، يقال: رَنَّق القومُ في أمْرِ كذا: أي: خلطوا الرأي. والترنيق: قيام الرَّجُلِ لا يدري أيذهب أم يجيء. والمراد: ضعف ولاتكم وحَيْرتهم واختلاطِ الأمور عليهم.

(٤) استرخى لَبَبُه: استرخى: صارَ رَخواً، أي: فيه سَعَةٌ ولينٌ. واللَّبَبُ: ما يُشَدُّ على صَدْرِ الدَّابةِ أو الناقة، يكون للرَّحْل والسَّرْج يَمْنَعُهما من الاسْتِحْارِ. يريد أنَّ اللِّين والهوادة مَفْسَدَةٌ لأدب الرعيَّة .

(٥) سلبه الشيء: أخذه وجَرَّدَهُ منه .

(٦) قائم السَّيْف: مِقْبَضُهُ .

(٧) نِجَادُ السَّيف: حمائله وعَلاَئِقُهُ .

(٨) ذبابُهُ قلادة لمن عصاني: ذبابُ السَّيف : شَفْرَتُهُ وحَدُّهُ الذي يُضرَبُ به . يريد أنه يضرب بِسَيفِه عُنُقَ كل من خرج عليه .

(٩)أن يأخذوا في بابٍ واحد: أي: أن يخرجوا من باب من أبواب المسجد .

عَذيري[١] من هذِه الحَمْراء[٢]، يَرْمي أحدُهم بالحَجَر إلى السماء ويقول: يكونُ إلى أن يَقَع هذا خَيرٌ. وا لله لأجعلنّهم كأمْسِ الدَّابر[٣]، عَذيري منْ عَبْد هُذَيل[٤]، إنه زَعم أنه آمِن عند ا لله، يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب، وا لله لو أدركتُه لقتلتُه» .

٦ ـ خُطْبةٌ للحجَّاج بن يُوسُفَ في أهْلِ الشَّامِ بعدَ يومِ الزَّاوِيَةِ

أنساب الأشراف ٧ : ٣٢٩

لـمَّا انْتصَر الحجَّاجُ بن يُوسُفَ على عبدِ الرحمـن بـن محمـد بـن الأشْعثِ الكِنْـديِّ يـومَ الزَّاوية قُرْبَ البَصْرةِ صَعِدَ المِنْبَر، فذكرَ ا لله عزَّ وَجَلَّ بما هو أهْلُهُ، ثم قال:

« إنَّ ا لله عَزَّ وَجَلَّ لم ينصركُم يا أهْلَ الشَّام على عَدُوِّكم، لأنَّكم أكثرُ منهم عَدَداً، وأظهرُ قوةً، ولقد كانوا أثرَى[٥] منكم وأقْوى وهم في بِلادِهـم، ومَـادَّتُهم[٦] تـأتيهم مـن مِصْرِهم وبُيوتِهم، فهـم يسـتندُون[٧] إلى ذلـك ويعْتصِمـونَ بـه[٨]، ولكنكـم كُنتُمْ أهـلَ الطَّاعة، وكانُوا أهـلَ المعصيـةِ، فَنصرَكُـمُ ا للهُ عَـزَّ وَجَـلَّ بغير حَـوْل[٩] منكـم ولا قـوةٍ، فاحمدُوا ا لله عَزَّ وجَلَّ على نِعَمِهِ ولا تَبْغُوا[١٠] ولا تَظلِموا، وإيَّـاكم أن يَبْلُغَـني أنَّ رجـلاً

---

(١) يقال: من عَذيري من فُلان، ومَنْ عَذيرك من فلان: معناه هَلمَّ من يَعْذرُك منه إنْ أوْقَعْتَ به، يعني أنا أهلٌ للإيقاع به، فإنْ أوْقَعْتُ به كنتُ معْذوراً .

ويقال: مَنْ يَعذرني من فلان: أي: من يَقُوم بعذري إن أنا جازيتـه بسـوءِ صَنِيعِهِ، ولا يُـلْزمني لومـاً على مـا يكون مني إليه .

(٢) الحمراء: العجم لبياضهم، ولأن الشُّقْرَةَ أغْلَبُ الألوان عليهم. والأحامر: قومٌ من العجم نزلوا البصرة. والعربُ تسمي الموالي الحمراء .

(٣) جَعَلَه كأمس الدَّابر: قَتَله .

(٤) عبد هذيل : يريد عبد ا لله بن مسعودٍ الـهُذَليَّ .

(٥) أثرى منكم : أي: أكثر عدداً. يقال: ثَرَى القومُ، أي: كَثُروا ونَمَوا.

(٦) المادة: كل شيءٍ يكون مدداً لغيره، والمراد: طعامهم وكل ما يحتاجون إليه .

(٧) اسْتَند إليه:استعان به .

(٨) اعتصم به: امْتَنع به .

(٩) الحول: الحركةُ والحيلةُ .

(١٠) بَغَى عليه: ظلمه وطلَب أذاه واستطال عليه .

منكم دَخَلَ بيتَ امرأةٍ، فلا يكونُ له عندي عُقُوبةٌ إلاَّ السيفُ. أنا الغَيُورُ[١] ابن الغَيُورِ، لا أداهِنُ[٢] في الرِّيبةِ[٣]، ولا أصْبرُ[٤] على الفَاحِشَةِ[٥]» !

٧ ـ خُطْبةٌ للحجَّاج بن يُوسُفَ في أهْلِ العِرَاقِ بعد وَقْعَةِ دَيْرِ الجَماجِمِ

البيان والتبيين ٢ : ١١٧
وأنساب الأشراف ٧ : ٣٤٤
والعقد ٤ : ١١٥
ومروج الذهب ٣ : ١٣٩
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٥٨
وشرح نهج البلاغة ١ : ٣٤٤
ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٥

خَطَبَ الحجَّاجُ أهْلَ العِراقِ بعدَ دَيْرِ الجَماجِمِ[٦]، فقال:

« يا أهْلَ العراقِ، إنَّ الشيطانَ قد استَبْطَنَكُمْ[٧]، فخالط اللحمَ والدمَ والعَصَبَ والمسامعَ والأطرافَ والأعضاءَ والشِّغافَ[٨]، ثم أفْضَى إلى الأمخاخِ[٩] والأصماخِ[١٠]، ثم ارْتفَعَ فَعَشَّشَ، ثم باضَ وَفَرَّخَ[١١]، فحشاكم نِفاقاً[١٢] وشِقاقاً[١٣]،

---

(١) الغيور: فَعُولٌ من الغَيْرة، وهي الحمَّيةُ والأنفَةُ .

(٢) داهن في الأمر: لاَيَن وصَانَع وَدارَى.

(٣) الريبة: الشَّكُّ والظِّنةُ والتُّهمة .

(٤) صبر على الأمر: أكرَهَ نفسَه عليه، وكلَّفها أنْ تَحتَمِلَه وتُطيقَهُ.

(٥) الفاحشة: القبيح من القولِ والفعْلِ، والمراد الزِّنا .

(٦) دير الجماجم: موضعٌ بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها، على طرف البرِّ للسالك إلى البصرة، سُمِّي بذلك لأنه كانت تُصنَعُ فيه الجماجم، وهي الأقداح من الخشب. (معجم البلدان: دير الجماجم) .

وبهذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فَهُزِمَ ابنُ الأشعث، وقُتِلَ أكثرُ مَنْ معه من القراء، وذلك سنة ثلاث وثمانين . (انظر تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٣٥٧، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٧٨).

(٧) استَبْطَنَ الشيءَ: دَخَلَ بَطْنَهُ .

(٨) الشغاف: غلاف القلب، وهو جلْدَةٌ دونه كالحجاب .

(٩) المخ: نقيُ العظم، أي: ما يخرج منه، يُجْمَعُ على مَخَخَةٍ ومِخاخٍ .

(١٠) الصِّماخ: ثُقبُ الأُذن الماضي إلى داخلِ الرأس، يُجْمَعُ على أصْمِخةٍ وصُمُخٍ، ولعل الأصْماخ جمع صمخ.

(١١) من كلامهم إذا وصفوا إنسانا بشدة الغي والانهماك في الشرِّ قالوا: قد فرَّخ الشيطان في رأسه وعشش في قلبه. (اللسان: فحص).

(١٢) النفاق: الرياء، وهو أن يُظهرَ الرجلُ غيرَ ما يُبْطِن.

(١٣) الشقاق: العداوة والخلاف .

وأشْعَرَكم[١] خِلافاً. اتّخذْتُمُوهُ دليلاً تَتْبعونَهُ، وقائداً تُطِيعونَهُ، ومُؤامراً[٢] تستشيرونه، فكيفَ تَنْفَعكم تجربةٌ، أو تَعِظُكُم وقعةٌ، أو يَحْجُرُكم[٣] إسلامٌ، أو يَنْفَعكُم بيانٌ! أَلستم أصحابي بالأهواز[٤]، حيثُ رُمتمُ المَكْرَ، وسَعيتُم بالغَدْر، واسْتجْمعتم[٥] للكُفْرِ، وظَنَنْتُمْ أنَّ الله يَخْذِلُ دِينَهُ وخلافَتَهُ!؟ وأنا أرْميكم بطَرْفي، وأنتم تَتسلّلون لِواذاً[٦]، وتنهزمون سِراعاً! ثم يومُ الزّاوية[٧]، وما يومُ الزّاوية!بها كان فَشَلُكم[٨] وتنازُعكم[٩] وتخاذلكم[١٠]وبراءةُ الله منكم، ونُكوصُ[١١] وليّكم[١٢] عنكم، إذ ولّيتم كالإبل الشّواردِ[١٣] إلى أوطانِها، النّوازع[١٤] إلى أعْطَانها[١٥]، لا يسألُ المرءُ عن أخيهِ، ولا يَلْوي[١٦] الشيخُ على بنيهِ، حتى عَضَّكم[١٧]

---

(١) أشعركم خلافاً: خالطَكم به .

(٢) مُؤامِرُ الرجل: صاحبُ أمرِهِ وَوَلِيُّهُ. وكل من فزعت إلى مشاورته ومؤامرته فهو أميرُك.

(٣) حجره: رَدَعَهُ وكفّه .

(٤) الأهواز: سبع كُوَرٍ بين البَصْرة وفارسَ، لكل كورةٍ منها اسمٌ، ويَجْمعهنَّ الأهواز، ولا يُفْرَدُ الواحدُ منها بهَوْز. (معجم البلدان: الأهواز) .

وبإحدى كُورها ، وهي تُسْتَر، كانت وقعةٌ بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، قُتِلَ فيها كثير من....

(٥) استجمعتم: استحشتم، ويقال لِلْمُسْتَحْيش: اسْتَجْمَع كلَّ مَجْمع.

(٦) انسل وتسلل: انطلق في استخفاء. وفي خطبة الحجاج: «وأنا أرميكم بطرفي، وأنتم تتسلّلون لواذاً». أي مُسْتخفين ومُسْتترين بعضكم ببعض. (اللسان: لوذ).

(٧) الزاوية: موضعٌ قربَ البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، قُتِلَ فيها خلقٌ كثيرٌ من الفريقين، وذلك في سنة ثلاثٍ وثمانين للهجرة. (معجم البلدان: الزاوية).

(٨) الفشل: الفَزَعُ والجُبْنُ والضَّعْفُ.

(٩) التنازع: التخاصُمُ .

(١٠) التخاذل: أن يترك بعضُهم نُصرة بعضٍ ويَتدابَروا، أي أنْ يتعادَوا ويتقاطَعُوا.

(١١) النكوص: الإحجام والتّقهْقُر والتّهيُّب والتّأخر .

(١٢) وليكم: يريد الشيطان، أخذه من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الأنفال: ٤٨] .

(١٣) شرد البعيرُ: نَفَر واسْتعصَى وذهب على وَجهه .

(١٤) نزع البعير إلى وطنه: حَنَّ إليه واشتاق.

(١٥) العطن للإبل: كالوطن للناس، وقد غلب على مَبْرَكها حول الحوْض .

(١٦) لا يَلْوي: لا يَلْتفت ولا يعطف .

السلاحُ، وقَصَمتْكُم[١] الرماح. ثم يوم دَير الجماجم، وما يومُ دير الجماجمِ! بها كانت المعارك والمَلاحمُ[٢] بضرْبٍ يُزيلُ الهامَ[٣] عن مَقيله[٤]، ويُذهِلُ[٥] الخليلَ عن خَليله!

يا أهْلَ العِراقِ، الكَفَراتِ[٦] بعد الفَجَرَات[٧]، والغَدَرَاتِ بعد الخَتَرات[٨]، وَالنَّزْوَةَ[٩] بعدَ النزواتِ! إنْ بَعثتكُمْ إلى ثُغورِكم[١٠] غَلَلْتُمْ[١١] وخُنتم، وإنْ أمِنْتُمْ أرْجَفْتم[١٢]، وإنْ خِفْتُم نافقتم[١٣]، لا تَذْكُرونَ حسنةً، ولا تَشْكُرون نعمةً! هل اسْتَخَفَّكُم[١٤] ناكث[١٥]، أو اسْتَغواكم[١٦] غاوٍ، أو اسْتَنصركم ظالمٌ،

---

(١٧) عَضكم السلاح: أي: أصابكم وجرحكم، وهو مستعارٌ من عَضِّ النّاب.

(١) قَصَمتكم الرِّماح: كسرتكم وغلبتكم .

(٢) المَلاحم: جمعُ مَلْحَمةٍ، وهي الوقعةُ العظيمة في الفتنة، أو الحرب ذات القَتْلِ الشديد .

(٣) الهام: جمع هامةٍ، وهي الرأس.

(٤) المَقيلُ: المَوْضعُ. والمراد الأعْنَاق، أي: بضربٍ يُقَطِّعُ الأعْناقَ ويَختلي الرؤوس. ومن المجاز: طَعَنَهُ في مَقيل حِقْدِه: أي: في صَدْرِه.

(٥) تُذهلَ: تُنسي وتُشْغَل.

(٦) الكفرات: أي: خِلافكم لبني مروان وخروجكم عليهم مرةً تِلْوَ الأخرى.

(٧) الفَجَرات: أي: كذبكم وميْلكم عن الحقِّ وعصيانكم لخلفائكم.

(٨) الختَرات: جمع خَتْرَةٍ، وهي الغَدْرُ والخديعة.

(٩) النَّزْوَة: الوثبة، يريد أنهم يَتَسرَّعُون للشر.

(١٠) الثغور: جمع ثغر، وهو الموضع الذي يكون حدًّا فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.

(١١) غَلَلْتُم: من الغُلول، وهو الخيانة في المَغْنَمِ، والسَّرقةُ من الغنيمة .

(١٢) أرْجَفَ القَوْمُ: وَلَّدوا الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس. وأرْجَفُوا في المدينة بكذا: إذا أخبروا به على أن يُوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يَصِحَّ عندهم.

(١٣) نافقتم: راءيتم وأظهرتم غير ما تُبْطِنونَ .

(١٤) استَخَفَّه فلان: استَجْهَلَهُ فَحَمَلَهُ على اتِّباعِهِ في غَيِّهِ.

(١٥) النَّاكث: الذي نَقَضَ العَهْدَ .

(١٦) اسْتَغْواكم: حملكم على الغَيِّ، أي الضلال .

أواستَعْضَدكم[١] خالع إلاّ تَبِعْتموهُ وآويْتموهُ ونَصَرْتُموه ورَضيتمُوهُ! يا أهْلَ العراق، هل شَغَبَ[٢] شَاغبٌ، أو نَعَبَ[٣] نَاعبٌ، أو زَفَرَ[٤] زافرٌ إلاّ كنتم أتباعَهُ وأنصارهُ!؟ يا أهل العراق، ألم تَنهكُمُ المواعظُ؟ ألم تَزْجُرْكُمُ الوقائعُ؟

ثم التفتَ إلى أهلِ الشّام فقال :

يا أهلَ الشّام، إنّمَا أنَا لكم كالظّليمِ[٥] الرامحِ[٦] عن فِراخه، يَنْفي عنها المَدَرَ[٧]، ويُباعِدُ عنها الحَجَرَ، ويَكُنُّها[٨] من المَطَر، ويَحْميها من الضّباب، ويَحرُسُها منَ الذّئاب!

يا أهلَ الشّامِ، أنتم الجُنّةُ[٩] والرِّداءُ[١٠]، وأنتم العُدّةُ[١١] والحِذاءُ[١٢]» .

---

(١) استَعْضَدكم: استعان بكم، وطلبَ أنْ تكونوا له عَضُداً، أي قوة .

(٢) شَغَبَ : هَيّج الشّرّ والفتنة.

(٣) نَعَبَ الغراب: صاح وصَوّتَ، وأنعبَ الرجل: نَعَر في الفتن، ومن المجاز: ما كانت فتنةٌ إلاّ نَعَرَ فيها فلانٌ: إذا نَهَضَ فيها وتكلّم .

(٤) زَفَرَ زَافِرٌ: نَفَخَ غَضَباً، ودَعا لِلْفُرْقَةِ والعَدَاوة.

(٥) الظليم: ذكر النّعام .

(٦) الرامح : الذّاب المُدافعُ المَانِعُ، أي الحافظ .

(٧) المَدَرُ: قِطَعُ الطين اليابس .

(٨) كَنَّ الشيءَ: جَعَلَهُ في كِنٍّ، وهو وِقاءُ كلّ شيءٍ وسِتْرُهُ، أي يقيها ويَسْتُرها .

(٩) الجُنّةُ : الدِّرْعُ، وكل ما وقاك جُنّةٌ .

(١٠) الرِّداءُ: القَوْسُ .

(١١) العُدّةُ: ما أعْدَدْتَهُ لحوادثِ الدّهر من المالِ والسّلاح.

(١٢) الحِذاء: لعله يريدُ به القُوّةَ والشّدّةَ، والمَنَعَةَ والعِزّةَ، أخذه من قوله ﷺ في ضَالّةِ الإبل: « معها حِذَاؤُها وسِقاؤها» . قال ابن الأثير: (الحذاء بالمَدّ: النّعْلُ، أراد أنها تَقْوَى على المشي وقطْعِ الأرض، وعلى قَصْدِ المياهِ وَوُرُودِها، ورعْيِ الشجر، والامتناع عن السّباع المفترسة. شبّهها بمنْ كانَ معه حِذاءٌ وسِقاءٌ في سَفَرِه). (اللسان: حذو) .

٨ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ في أهْلِ العِرَاقِ حينَ أرادَ الحَجَّ

البيان والتبيين ١ : ٢٩٧
وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٥
وأنساب الأشراف ١٣ : ٣٥٥
والعقد ٤ : ١١٩، ٥: ٤٧
ومروج الذهب ٣ : ١٥٣
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٧٦
وشرح نهج البلاغة ١ : ٣٤٦
وسرح العيون ص: ١٨١

أرادَ الحجَّاجُ الحَجَّ، فَخَطبَ النَّاسَ، فقالَ:

«أيُّها النَّاسُ، إنِّي أريدُ الحجَّ، وقد استخْلَفْتُ عليكم ابني محمداً هذا، وأَوْصَيْتُه فيكم بخِلافِ ماأوْصَى به رسول ا لله ﷺ في الأنْصارِ. إنَّ رسول ا لله ﷺ أوْصَى أنْ يُقْبَلَ من مُحسِنِهِمْ، ويُتَجَاوزَ عن مُسيئهم[1]. ألاَ وإنِّي قد أوْصيْتُهُ أنْ لاَ يَقْبلَ من مُحسِنكم، ولا يتجاوزَ عن مُسيئكم. ألاَ وإنَّكم سَتقُولون بعدي مقالَةً ما يَمْنعكُمْ من إظهارِها إلاَّ مَخافتي! ألاَ وإنَّكم سَتقُولُونَ بعدي: لا أحْسَنَ ا لله لـه الصَّحابَـة! ألاَ وإنِّي مُعَجِّلٌ لكم الإجابة: لا أحْسَن ا لله الخلافَة عليكم»!

٩ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ في أهْلِ العِرَاقِ

العقد ٤ : ١١٩

خَطَبَ الحجَّاجُ أهْلَ العِرَاقِ، فقالَ:

« يا أهْلَ العِراق، إنِّي لم أجدْ دواءً أدْوَى[2] لدائِكم من هذه المَغازي[3] والبُعوثِ[4]، لولا طِيبُ لَيلةِ الإيابِ، وفَرْحَةُ القَفَلِ[5]، فإنها تُعْقِبُ راحةً. وإنِّي لا أُريدُ أنْ أرَى الفَرَحَ

(١) تجاوَزَ عن مُسيئهم: عَفَا عنه و لم يُؤاخِذْهُ بِذَنْبِهِ.
(٢) أدْوى لدائكم: أنْجَعُ عِلاجاً وأكثر نَفْعاً .
(٣) المغازي: جمع مغزى ومغزاة، بمعنى الغزو، أي: السير إلى قتالِ العَدُوِّ وانْتِهابه .
(٤) البُعُوث: جمع بَعْث، وهم الجنودُ الذين يُبْعَثُونَ إلى الثغور . ويقال: كنتُ في بَعْثِ فلان: أي: في الجيش الذي بُعث معه .
(٥) القَفَلُ: العَوْدُ والرجوع .

عندكم، ولا الرَّاحةَ بكم. وما أُراكم إلاّ كارهينَ لَمقالتي، وإنّي وا لله لرُؤيتكم أكْرهُ. ولولا ما أُريدُ من تَنْفيذِ طاعةِ أميرِ المُؤمنينَ فيكم ما حَمَّلتُ نفسي مُقاساتَكم[١]، والصبرَ على النّظر إليكم[٢]. وا لله أسألُ حُسنَ العَوْنِ عليكم»!

١٠ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ في أهْلِ العِرَاقِ

العقد ٥ : ٤٦

خَطَبَ الحجَّاجُ أهْلَ العِرَاقِ، فقالَ:

« يا أهْلَ العِرَاقِ، بَلَغَني أنّكم تَروُونَ عن نبيِّكم أنّه قال: مَنْ مَلَكَ عَشْرَ رقابٍ من المسلمينَ جيءَ به يوم القيامةِ مَغلُولةً[٣] يداه إلى عُنُقِهِ، حتى يَفُكَّه[٤] العَدْلُ أو يُوبقَهُ[٥] الجَوْرُ. وأيمُ ا للهِ، إنّي لأَحبُّ إليَّ أنْ أُحْشَرَ مع أبي بكرٍ وعُمَرَ مَغْلولاً من أنْ أُحْشَرَ معكم مُطْلقاً»!

١١ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ في أهْلِ العِرَاقِ

أنساب الأشراف ١٣ : ٤٠٤

خَطَبَ الحجَّاجُ أهْلَ العِرَاقِ، فقالَ:

«يا أهْلَ العراقِ، إنّه وا للهِ ما بَيْني وبينَكُمْ من هَوادةٍ[٦] ولا بُلَهْنيةٍ[٧] ولا رَفَاهيةٍ[٨]

---

(١) المُقاساةُ: مُكابدةُ الأمر الشديد ومُعَاناتُهُ ومُعَالَجَتُهُ.

يريد أنَّ أمير المؤمنين أوصاه بالإحسان إليهم والرِّفقِ بهم وهو يَصْدعُ بأمره، فيصْبر على سُوئهم وشرِّهم، ويَسَعُ عِشهم وعِصْيانهم، مُخْفياً حَنَقَهُ، وكاظماً غَيْظَهُ. ولولا ذلك لاشْتدَّ عليهم، ونكَّلَ بهم .

(٢) النظر إليكم: الإحسان والرحمة والعطف .

(٣) غُلَّت يَدُهُ إلى عُنُقِهِ: جُمِعَتْ يَدُهُ إلى عُنُقِهِ بالغُلِّ وهو الجامعة أو القَيْدُ .

(٤) يَفُكُّه: يُخَلِّصُه .

(٥) يُوبِقُهُ: يُهْلِكُهُ.

(٦) الهَوَادةُ: اللِّين والرِّفق . وقيل: الهَوادةُ : اللينُ وما يُرْجَى به الصَّلاح بين قوم. والهوادةُ: السُّكون والرُّخصةُ والمحاباة. وفي الحديث : « لا تأخُذُه في ا لله هَوادةٌ » أي: لايسكن عند حدِّ ا لله ولا يُحابي فيه أحَداً . (اللسان: هود) .

(٧) البُلَهْنِيَة: الرَّخاء وسعةُ العيش .

(٨) الرَّفاهية: رَغَدُ الخِصْب، أي: كثرته وغَزَارته، ولينُ العَيْش .

ولا دَبْغَ على التِّحْلِبَةِ[١]، ولا أقولُ لمن عَثَرَ: لعاً[٢]، ولكن لليدَين والفم[٣]. وما مَثَلي ومَثَلُكمْ إلا كَمَثل رَجُلٍ كانتْ في بيتهِ حَيَّةٌ تُخرِجُ له كلَّ يومٍ ديناراً تَضَعُهُ على بابِ جُحْرِها، فقيلَ له: لو قَتَلْتَها، واسْتَخْرَجْتَ الدنانيرَ التي في جَوفِها! فَرَصَدَها[٤] بفأسٍ، فلمّا خَرَجَتْ أهْوَى[٥] إليها لِيضْرِبَها، فولَّتِ[٦] فقطعَ ذَنَبَها. فلما كانَ الليلُ لَدَغَتِ ابناً له، فمات، فندم[٧]. وسألها الصُّلحَ، فقالت : لا صُلحَ بيني وبينَكَ، إذا ذكرتُ قَطْعَ ذَنَبي، وذكرتَ قَتلي ابنك لم تَطِب[٨] نَفسُك لي، ولا نَفسي لك»!!

١٢ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ في أهْلِ الكوفةِ

أنساب الأشراف ٨ : ٢٧

خَطَبَ الحجَّاجُ أهْلَ الكُوفة بعدَ أنْ هَزَمَهم شبيبُ بنُ يزيدَ الشَّيبانيُّ، فقالَ:

« لاأعزَّ اللهُ مَنْ أرادَ العِزَّ[٩] بكم، لا تَشْهَدُوا معنا قِتَالَ عَدُوِّنا، والْحَقُوا بالنَّصارَى واليَهُود»!!

(١) في المثل: « أحْمَقُ من الذَّابغ على التِّحْلِبَة». التِّحْلِبَةُ: قِشْرٌ يَبْقَى على الإهاب من اللحم، فيَمنَعُ الدِّباغ أنْ يَنال الإهابَ، حتى يقْشرَ عنه، فإن تُرِكَ فَسَد الجلدُ بعدَما يُدبَغُ. (مجمع الأمثال١ : ٣٩٨).

وقال ابن منظور: في المثل: « لا يَنْفَعُ الدَّبْغُ على التِّحلِبَة». التِّحْلِبَة والتِّحلَبَةُ: شَعَرُ وَجْهِ الأديم وَوَسَخُهُ وسَوادُه. والمراد لاصْلاحَ على فساد، أو لا صداقة على عداوة .

(٢) في المثل: «لا لَعاً لفلان». يقال للعاثر: لعاً لَه، إذا دَعَوْا له، ولا لعاً له، إذا دَعَوْا عليه وشَتَمُوا به، أي لا أقالَهُ الله من سَقْطته. (مجمع الأمثال٣ : ١٧٤) .

وقال أبو عبيدة : من دعائهم: لا لعاً له، أي: لا أقامَهُ الله. والعربُ تدعو على العاثر من الدَّواب إذا كان جواداً بالنَّعْسِ، فتقول: تَعْساً له، وإن كان بليداً كان دعاؤهم له إذا عَثَر لعاً له . (اللسان : لعا) .

(٣) ولكن لليَدَيْن والفَم: أي: بل أدعو عليه أن يَنْكبَّ لِيَدَيْهِ وفمه ولا يَنْهَضَ من عَثْرته .

(٤) رَصَدَهُ وتَرَصَّدَهُ: تَرَقَّبَهُ .

(٥) أهْوى إليها بالفأس: مَدَّها نَحْوَها وأمَالها إليها .

(٦) وَلَّت : أدْبَرت وانْصرفَت .

(٧) نَدِمَ: أسِفَ .

(٨) طابت نفسُه له : رَضِيَتْ عنه .

(٩) العِزُّ في الأصْلِ: القُوَّة والشِّدَّةُ والغَلَبَةُ. والعزُّ والعِزَّة: الرِّفْعَة والامتناع .

١٣ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ في أهْلِ الكوفةِ

شرح نهج البلاغة ١ : ٣٤٦

قال الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ من خطبةٍ له في أهْلِ الكُوفةِ :

يا أهْلَ الكوفة، إنَّ الفِتنَةَ تُلْقَحُ[١] بالنَّجْوى[٢]، وتُنتَجُ[٣] بالشكْوى، وتُحْصَدُ بالسَّيفِ[٤]! أمَا والله إنْ أبْغَضْتُمُوني لا تَضُرُّوني، وإنْ أحْبَبْتمُوني لاَ تَنْفَعُوني! وما أنا بالمُسْتوحِشِ[٥] لِعَداوَتكم، ولا المُسْتريحِ إلى مَوَدَّتكم! زَعَمْتُمْ أنِّي ساحر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾[طه: ٦٩]، وقد أفلَحتُ. وزَعَمتم أنّي أعلَمُ الاسمَ الأكبَر، فلِمَ تُقاتِلُونَ مَنْ يعلمُ مالا تَعْلمُونَ!

ثم التفتَ إلى أهلِ الشَّام فقالَ:

لأزواجُكُمْ أطيبُ من المِسْك، ولأبناؤكم آنسُ بالقَلْبِ من الوَلَدِ، وما أنتم إلاَّ كما قال أخو ذُبْيان[٦]:

إذا حَاوَلتَ في أسَدٍ فُجُوراً ... فإنّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنّي

هُمُ دِرْعِي التي استلأمْتُ[٧] فيها ... إلى يوم النِّسَار[٨] وَهُمْ مِجَنّي[٩]

ثمَّ قالَ :

بلْ أنتم يا أهلَ الشَّامِ، كما قال الله سبحانَهُ : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾» [الصافات: ١٧١، ١٧٢، ١٧٣].

---

(١) تُلْقَحُ: تُنْسَبُ، على المثل بالأنثى اللاقح، أي: الحامل .

(٢) النَّجْوَى: المُسَارَّة.

(٣) تُنْتَج: تضعُ وتلدُ، أي: تَشْتَدُّ وتَسْتَفْحِل .

(٤) حَصَدهم بالسيف: قتلهم .

(٥) المستوحشُ : الفَرِق غيرُ المستأنس من الخَلْوَة.

(٦) البيتان من قصيدة للنابغة الذبياني. (ديوان النابغة الذبياني ص: ١٢٧) .

(٧) استلأمَ الدرعَ : لَبِسها وتَدرَّع بها .

(٨) يوم النسار: من أيام العرب في الجاهلية، كان بين بني سَعْد والرِّباب، وبين بني عامرٍ وهوازن، استمد فيه بنو سعدٍ بني أسدٍ فأمدُّوهم، وهُزِم بنو وعامرٍ وهوازن. (أيام العرب في الجاهلية ص : ٣٧٨) .

(٩) المجن: التُّرْسُ .

١٤ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ

أنساب الأشراف ١٣ : ٣٩٧

خَطَبَ الحجَّاجُ، فقال:

« احْفَظُوا ألْسنَتَكُمْ، فإنَّ أيْمَنَ[١] امرئ وأشْأَمَهُ[٢] بَيْنَ فكَّيْهِ)»!!

١٥ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ

أنساب الأشراف ١٣ : ٣٨١

خطب الحجَّاجُ على المِنْبَرِ، فقال:

«أخليفةُ أحَدكُمْ في أهلِهِ أكْرَمُ عليه أم رَسُولُهُ في حاجتِهِ[٣]»؟!

١٦ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يُوسُفَ حينَ أرْجَفَ النَّاسُ بِمَوْتِه

أنساب الأشراف ١٣ : ٣٥٨
وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٤
والعقد ٤ : ١٢٣، ٥ : ٤٦
ومروج الذهب ٣ : ١٥٠
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٨٥
وشرح نهج البلاغة ١ : ٣٤٧
وسرح العيون ص: ١٨٥

مَرِضَ الحجَّاجُ، فأَرجَفَ[٤] النَّاسُ بموته، فلمَّا أفاقَ خطب فقال:

« يا أهْلَ العراقِ، ويا أهلَ الشِّقاقِ[٥] والنفاقِ[٦]، ومساوئ الأخْلاقِ، تَقُولُونَ: ماتَ الحجاج! وماتَ الحجاجُ، فمه[٧]! واللهِ ما أحبُّ إلاَّ أموتَ، وما أرْجُو الخيرَ كلَّهُ إلاَّ بعدَ

(١) اليُمْنُ : الخَيْرُ والبَرَكَةُ .
(٢) الشُّؤْمُ : الشَّرُّ والمَكْرُوهُ .
(٣) يعني أنَّ الخليفةَ أعْظَمُ مكانةً عندَ الله تعالى من الرسول!! وقد تكرر ذكر ذلك عنه.
(أنساب الأشراف ١٣ : ٣٦٤، ٣٧٩) .
(٤) أرْجفَ القومُ: خاضوا في الأخبار السَّيئة وذِكْرِ الفتن. وأرْجَفُوا في المدينة بكذا: إذا أخبرُوا به على أنْ يوقعوا في الناسِ الاضطرابَ من غير أنْ يَصِحَّ عندهم .
(٥) الشِّقاق: العداوة والخلاف .
(٦) النِّفاق: الرِّياء، وهو أن يُظْهِرَ الرجلُ غيرَ ما يُبْطن .
(٧) مَهْ: اسم فعلٍ مبني على السكون، معناه اسْكُتْ واكْفُفْ، لأنه زجرٌ . قال بعض النحويين: أمَّا قولهم مهٍ إذا نَوَّنْتَ فكأنك قلت: ازدجاراً، وإذا لم تُنَوِّنْ فكأنك قلت: الازدجار، فصار التنوين علمَ التنكير، وتَرْكُهُ علَمَ التعريف . (اللسان: مه) .

الموتِ، وهل رأيتمُ ا لله اختارَ الحياةَ إلا لشرِّ خَلْقهِ وأهْوَنِهم عليه إبليسَ! ولقد سأل العبدُ الصالحُ[١] ربه مُلْكاً لاَ يَنبغي لأحدٍ من بعده[٢] فأُوتِيَهُ، ثمَّ اضْمَحَلَّ[٣]، فكأنْ لم يَكُنْ! أيُّها الرَّجُلُ، وكلكم ذلك الرَّجُلُ، لكأني بكلِّ امرئ منا ومنكم قد نُقِلَ في ثيابِ طُهْرِهِ إلى ضِيق قَبره، فَوُضِعَ في ثلاث أذرعٍ طولاً في ذراعَينِ عَرْضاً، فأكلت الأرضُ شَعْرَهُ وَبَشَرَهُ[٤] وامتصَّت صَدِيدهُ[٥] وَدَمُه، وأقبلَ الحبيبان من وَلدِه يَقْتَسِمَانِ الحَبِيْبَيْنِ من ماله. إن الذين يَعْلمُونَ يَعْلمُونَ ما أقول»!!

---

(١) يعني سليمان بن داود.

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾. [ص: ٣٥].

(٣) اضْمَحَلَّ الشيءُ: ذهب.

(٤) البَشَرَ: جمع بَشَرةٍ، وهي أعْلَى جلدةِ الرأس والوَجْهِ والجسد من الإنسان، وهي التي عليها الشَّعَرُ.

(٥) الصَّديد: الدَّمُ والقَيْحُ يَسِيلُ من الجسد.

(٤) خُطَبٌ لسائرِ عُمّالِ بني أُميّةَ

١ـ خُطْبَةٌ لِمُطرِّفِ بنِ المُغيرةِ بن شُعْبَةَ بالمَدائِنِ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٨٤

كان بنو المُغيرةِ بنِ شُعْبَةَ الثَّقَفيِّ صُلَحاءَ نُبلاءَ أشرافاً بأنفسهم سوى شرفِ أبيهم ومنزلتهم في قومهم. فلمَّا قدم الحجَّاج بنُ يُوسُف العراق، فَلَقُوهُ وشَافَهَهُمْ، علم أنَّهم رجالُ قَوْمهم. فاستعملَ عُرْوَةَ على الكوفةِ، ومُطَرِّفاً على المَدائِن، وحمزةَ على هَمَذانَ.

فلمَّا قَدِمَ مُطرِّفٌ المدائنَ صَعِدَ المِنبَرَ، فحمدَ ا لله وأثنى عليه، ثمَّ قالَ:

« أيُّها الناسُ، إنَّ الأميرَ الحجَّاجَ، أصلحَهُ ا لله، قد ولاَّني عليكم، وأمَرَني بالحُكْم بالحَقِّ، والعَدْل في السيرة. فإنْ عملتُ بما أمَرني به فأنا أسعدُ الناس، وإنْ لم أفعلْ فنفسي أوبَقْتُ[1]، وحظِّ نفسي ضيَّعتُ. ألا إنِّي جالسٌ لكم العَصْرَيْنِ[2]، فارْفَعُوا إليَّ حوائِجكم، وأَشِيرُوا عليَّ بما يُصْلِحُكم ويُصْلِحُ بلادَكم، فإنِّي لن آلُوَكم خَيْراً[3] ما استَطعتُ ».

٢ ـ خُطْبَةٌ لخالدِ بن عبد ا للهِ القَسْرِيِّ بمكَّةَ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤٦٤

والكامل في التاريخ ٤ : ٥٥٤

وَلِّي الوليدُ بنُ عبدِ المَلِكَ خالدَ بن عبدِ ا لله القَسْرِيَّ على مكةَ، فَخَطَبَ أهْلَها، فقالَ:

«يأيُّها الناسُ، إنكم بأعظمِ بلادِ ا لله حُرمَةً، وهي التي اختار ا لله من البُلْدانِ، فوَضَعَ بها بيتَهُ، ثم كتبَ على عبادِهِ حَجَّه من استطاعَ إليه سبيلاً .

أيُّها الناسُ، فعليكم بالطَّاعة، ولزوم الجماعة، وإياكم والشُّبهات[4]، فإني وا للهِ ما أوتَى بأحدٍ يَطعَنُ على إمامِه إلا صلبتُه في الحرَم. إنَّ ا لله جعل الخلافَة منه بالموضعِ الذي جَعلها، فسَلِّموا وأطِيعُوا، ولا تقولُوا كيْتَ وكَيْت، إنه لا رأيَ فيما كَتَبَ به الخليفةُ أو رآه إلاَّ

---

(١) أوْبَق نَفْسَهُ: أهْلكَها .

(٢) العصران: الغَدَاةُ والعَشيُّ، أي: أوَّلُ النَّهار وآخره .

(٣) لا آلُوكم خيراً: لا أقْتُرُ ولا أُقَصِّرُ في خيركم .

(٤) الشُّبهات: جمع شُبْهَةٍ ، وهي الالتباس والاختلاط .

إمضاؤه. واعلموا أنه بلغني أنَّ قوماً من أهلِ الخلافِ يَقْدِمُونَ عليكم، ويُقِيمُونَ في بلادكم. فإيَّاكم أن تُنزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائغٌ[١] عن الجماعة، فإني لا أجدُ أحداً منهم في منزلِ أحد منكم إلاَّ هدَمْت مَنْزلَهُ! فانظُرُوا مَنْ تُنْزلُونَ في مَنَازِلكم، وعليكم بالجماعةِ والطاعةِ، فإن الفُرقةَ هي البلاءُ العظيمُ».

٣ ـ خُطْبةٌ لخالدِ بن عبد ا للهِ القَسْرِيِّ بمكَّةَ

تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤٦٥

قالَ خالدُ بن عبدِ ا للهِ القَسْرِيُّ من خطبة له بمكَّةَ :

«وا للهِ لو أعلمُ أنَّ هذه الوحْشَ التي تأمَنُ في الحَرَمِ لونَطَقَتْ لم تقرَّ بالطَّاعةِ لأخرجتُها من الحَرَمِ. إنَّه لا يَسْكن حَرَمَ ا للهِ وأمْنَه مخالفٌ للجماعةِ، زارٍ عليهم[٢]»!

٤ ـ خُطبةٌ لخالدِ بن عبد ا للهِ القَسْرِيِّ بمكَّةَ

تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤٤٠
والكامل في التاريخ ٤ : ٥٣٦

خَطَبَ خالدُ بن عبد ا للهِ القَسْرِيُّ على مِنْبرِ مَكَّةَ، فقالَ:

« أيُّها الناس، أيُّهما أعظَمُ؟ أخليفةُ الرَّجل على أهلِهِ، أمْ رسولُهُ إليهم؟ وا للهِ لو لم تَعلمُوا فَضْلَ الخَليفةِ، إلاَّ أنَّ إبراهيمَ خليلَ الرَّحمن استَسْقى[٣] فَسَقاه ملْحاً[٤] أجاجاً[٥]، واستسقاهُ الخليفة فَسقاه عَذباً فراتاً[٦]، بئراً حفَرَهَا الوليدُ بنُ عبدِ الملك بالثَّنيتيْن[٧]، فكان يُنْقَلُ ماؤها فيُوضَعُ في حوضٍ من أدَمٍ إلى جَنْبِ زمْزَمَ، ليُعْرف فَضْلُهُ على زَمْزَم» !

(١) زاغ عن الجماعةِ : مالَ عنها وعَدَلَ .

(٢) زَرَى عليه: عابَهُ وسَخِطَ عليه .

(٣) استَسْقى : طلبَ السُّقيا ، أي: إنزال الغيث .

(٤) المِلْحُ: المالح، ويَعْني به زَمْزم.

(٥) الأُجاج : شديد المُلوحة.

(٦) الفرات : أشدُّ الماء عُذُوبةً .

(٧) الثَّنيتان : ثَنيَّةُ طَوًى وثنيَّة الحَجُون . والثنية: كل عقبةٍ في الجبل مسلوكة . وطَوىً : وادٍ بمكة، قيل: هو الأبْطح، وهو يضاف إلى مكة وإلى مِنى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربَّما كان إلى مِنىً أقرب، وهو المُحَصَّب. والحجون : جبلٌ بأعلى مكَّة .

٥ ـ خُطبةٌ لخالد بن عبد ا لله القَسْرِيِّ بمكَّةَ في ذَمِّ الحَجَّاج وَلَعْنِهِ

العقد ٤ : ١٣٥، ٥: ٣٠

وزهر الآداب ١ : ٣٤٢

صَعِدَ خالدُ بن عبد ا للهِ القَسْرِيُّ المِنْبَرَ، يَوْمَ جمعةٍ، وهو والي مكَّة، فذَكرَ الحَجَّاجَ، فأحْمَدَ طاعتَه[١] وأثنى عليه خيراً. فلمَّا كان في الجمعة الثانية وَرَدَ عليه كتاب سليمانَ ابنِ عبدِ الملك يأمره فيه بِشتْم الحجَّاجِ وذكرِ عُيُوبِهِ، وإظْهار البراءةِ منه، فَصَعِدَ المنبَر، فَحَمِدَ ا لله وأثنى عليه، ثُمَّ قالَ:

«إنَّ إبليس كانَ مَلَكاً من الملائكة، وكان يُظْهِرُ من طاعةِ ا لله ما كانتِ الملائكةُ تَرى له بـه فَضْلاً، وكانَ ا لله قد عَلِمَ مِن غِشِّه وخُبثِهِ ما خَفِيَ على مَلائكَتِه. فلمَّا أرادَ ا لله فَضِيحَتَهُ ابْتلاهُ بالسُّجودِ لآدمَ، فَظهرَ لهم ما كان يُخفيهِ عنهم، فَلَعنُوه . وإنَّ الحجَّاجَ كان يُظْهِرُ من طاعةِ أمـيرِ المُؤمنين ما كُنَّا نَرى له به فَضْلاً، وكان ا لله قد أطْلعَ أميرَ المؤمنينَ من غِشِّهِ وخُبثِهِ على ما خَفِـيَ عنَّا. فلمَّا أرادَ فَضيحَتَهُ أجرى ذلك على يدِ أميرِ المؤمنينَ، فالعنُوهُ، لَعَنه ا للهُ» !

٦ ـ خُطبةٌ لخالدِ بن عبد ا للهِ القَسْرِيِّ بِواسِط

نهاية الأرب ٧ : ٢٥٥

وسرح العيون ص: ٢٩٦

قام خالدُ بنُ عبدِ ا للهِ القَسْرِيُّ على المِنبرِ بِواسِطٍ خطيباً، فَحَمدَ ا لله وأثنى عليه، وصلَّـى على النبيِّ ﷺ ، ثم قالَ :

«أيُّها النـاسُ، نافسُوا في المكـارمِ، وسـارِعُوا إلى المَغانمِ[٢]، واشتَروا الحمـدَ بـالجُودِ، ولا تَكسِبوا بالمَطلِ[٣] ذماً، ولا تعتدوا[٤] بالمعروف ما لم تُعَجِّلوه، ومهمـا يكـنْ لأحَدِكـم عنـدَ أحـدٍ

(١) أحْمَدَ طاعَتَهُ: صارتْ طاعَتُهُ عندَه مَحْمُودةً، أو وَجَدَها مَحْمُودةً .

(٢) المغانم: جمع مَغْنَم ، وهو في الأصل ما أصيب من أمْوالِ أهل الحرب، وأوْجَف عليه المسلمون الخيلَ والركابَ ، أي أسْرَعُوا السير إليه. والمراد النَّفْعُ والرِّبح والمكْسَبُ. والمغانم: نقيض المغارم ، جمع مغرم، وهو الدَّيْنُ ومـا يلزمُ أداؤه. والمراد الضُّرُّ والنقصان والخُسْرَان. ويقال: عليكَ بالصِّدق وإن جَرَّ عليك المغارم، وإياك والكذبَ وإنْ ساقَ إليك المغانم . (أساس البلاغة: غرم).

(٣) المطل: التَّسْويف والتأخير .

(٤) اعتدَّ بالشَّيء : تَمَدَّحَ به وافتخر.

نعمةٌ فلم يبلُغْ شكرَها فالله أحسَنُ لها جزاءً، وأجزلُ عليها عطاءً. واعلمُوا أنَّ حوائجَ النَّاسِ إليكم نعمةٌ من الله عليكم، فلا تَملُّوا النِّعَمَ فتُحوِّل نقماً، واعلَمُوا أنَّ أفضلَ المالِ ما أكْسَبَ أجراً، وأورث ذكراً. ولو رأيتم المعروفَ رجلاً رأيتموهُ حَسَناً جميلاً يَسرُّ الناظرينَ، ولو رأيتمُ البُخْلَ رجلاً رأيتموهُ مُشَوَّهاً قبيحاً، تَنفرُ عنه القُلُوب، وتُغَضُّ عنه الأبصار. أيها الناسُ، إنَّ أجودَ الناسِ مَنْ أعطَى من لا يَرْجُوهُ، وأعظمَ الناسِ عَفْواً مَنْ عفَا عن قُدْرة، وأوصَلَ[1] النَّاسِ مَن وَصَلَ مَن قَطَعَهُ، ومن لم يَطِبْ حَرْثُه[2] لَم يَزكُ نَبتُه[3]. والأصولُ عن مَغارِسِها[4] تنمُو، وبأُصولها تَسْمُو[5]. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم».

٧ ــ خُطبَةٌ لعُثْمَان بنِ حَيَّانَ المُرِيِّ بالمَدينة

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤٨٥

استَعْمَلَ الوليدُ بنُ عبد الملك عُثْمَانَ بنَ حَيَّانَ المُرِيَّ على المَدينة، فَشدَّدَ على أَهْلِها، وضَبَطَ أَمْرَها. وخطبَ يوماً على المِنْبَر، فقالَ بعدَ حَمْد الله:

«أيُّها الناسُ، إنَّا وجدناكم أهلَ غشٍّ[6] لأميرِ المؤمنينَ في قديمِ الدَّهر وحَديثه، وقد ضَوَى[7] إليكم من يَزيدُكم خَبالاً[8]. أهلُ العراق هم أهْلُ الشقاق[9] والنفاق[10]، هم والله عُشُّ النِّفاقِ[11] وبَيْضَته[12] التي تفلّقتْ عنه[13]. والله ما جَرَّبتُ عِراقيًّا قطّ إلاّ

(١) أوْصَلُ النّاس: أكثرهم إحساناً.

(٢) طابَ حَرْثُهُ: كان زرعُهُ حلالاً طيّباً غيرَ خبيث.

(٣) زكا نَبْتُهُ: نَمَى وطالَ وَعَمّ. هذا القولُ كالمثل، يراد به أن من لم يخلص النيّة في عمله لم يُتَقَبَّلْ منه.

(٤) المَغارسُ: جمع مَغْرِس، وهو مَوْضِعُ الغَرْسِ.

(٥) تسْمُو: تَرتَفِعُ وتَعلُو.

(٦) الغشُّ: عَدَمُ إمْحاضِ النَّصيحَة وإخْلاَصِها، أي الخيانةُ والغَدْرُ.

(٧) ضَوَى إليكم: انْضَمَّ ولَجَأَ.

(٨) الخبال: الفساد.

(٩) الشقاق: العداوة والخلاف.

(١٠) النفاق: الرِّياء، وهو أن يُظْهِرَ الرجلُ غيرَ ما يُبْطِنُ.

(١١) عشُّ النفاق: أي مَوْطنه.

(١٢) وبيضة النفاق: أصْله ومَعْدِنُه.

(١٣) تَفلّقتْ عنه: تَشَقَّقتْ.

وجدتُ أفضَلهم عند نفسِهِ الذي يقول في آلِ أبي طالب ما يقولُ، وما هم لهم بشيعةٍ، وإنهم لأعداءٌ لهم ولغيرهم، ولكن لِما يريدُ الله من سَفْكِ دمائهم. فإني والله لا أوتَى بأحدٍ آوى[١] أحداً منهم، أو أكْراه مَنزِلاً، ولاأنْزَلَه، إلا هَدَمْتُ منزله، وأنزلتُ به ما هو أهلُه. ثمّ إنَّ البلدانَ لما مصَّرها عُمرُ بنُ الخطابِ، وهو مجتهدٌ على ما يُصلِحُ رعيَّته، جعلَ يمرُّ عليه من يريد الجهادَ فيستشيره : الشَّامُ أحبُّ إليك أم العراقُ؟ فيقولُ: الشَّامُ أحبُّ إليّ . إني رأيتُ العراقَ داءً عُضالاً[٢]، وبها فرّخَ الشيطانُ[٣]. والله لقد أعضَلوا[٤] بي. وإني لأُراني سأفرِّقُهمْ في البُلْدان. ثم أقول : لو فَرَّقْتهم لأفْسَدوا مَنْ دخلُوا عليه بجَدَلٍ وحِجَاجٍ، وكَيفَ؟ ولِمَ؟ وسُرعَة وجَيفٍ[٥] في الفِتْنَةِ. فإذا خُبِرُوا[٦] عند السيوفِ لم يخبر منهم طائل[٧]. لم يَصْلحوا على عثمان، فلقي منهم الأمَرّيْن[٨]، وكانوا أوّلَ النـاس فَتقَ، هذا الفَتْقَ العظيم[٩]، ونَقضوا عُرَى الإسلام[١٠] عُرْوةً عُرْوةً، وأنغلوا[١١] البُلـدان. والله إني لأتقرَّبُ إلى الله بكلِّ ما أفعل بهم ، لِمَا أعرفُ من رأيهم ومَذاهِبهم. ثمَّ وليهم أميرٌ

---

(١) آواه : ضَمَّه إليه وحاطهُ وحَفظَهُ وتَعَهَّدَهُ ورَعاهُ .

(٢) الداء العُضال : المرض الذي يُعْجِزُ الأطباء فلا دواءَ له .

(٣) وبها فرَّخَ الشَّيطانُ : صار ذا فَرْخ . أي: اتخذ الشيطان العراق مقراً ومسكناً لا يُفارقها كما يلازم الطائرُ موضعَ بَيْضِه وأفراخه .

(٤) عَضَل بي الأمرُ ، وأعضَلَ بي وأعْضَلَني : اشتدَّ وغلظ واستَغْلَقَ . ورُوِيَ عن عمرَ بن الخطاب أنه قال: « أعْضَلَ بي أهْلُ الكوفةِ ، ما يَرْضَوْن بأمير، ولا يَرْضاهم أميرٌ » . أعْضَلَ بي: هو من العُضال، وهو الأمر الشديد الذي لا يقوم به صاحبهُ ، أي ضاقت عليَّ الحِيَلُ في أمرهم ، وصَعُبَتْ عليَّ مُداراتهم .

(٥) الوجيف : ضرب من السير سريع . والوجيف : الاضطراب .

(٦) خبره: امْتَحَنَهُ وجَرَّبَهُ .

(٧) الطَّائلُ والطَّائلةُ والطَّوْلُ : الفَضْلُ والمَقْدَرَةُ .

(٨) لَقِيَ منه الأمَرّيْن : أي: الدَّواهي .

(٩) فَتقَ الفَتْق العظيم : شقَّ عَصَا المسلمين بعد اجتماع الكلمةِ من قِبَلِ حَرْبٍ في ثغرٍ أو غير ذلك.

(١٠) نَقَضَ عُرَى الإسْلام : نقض الشيء: أفْسَدَ ما أبْرَمَ منه وأحْكَمَ. والعُرْوَةُ : مَدْخلُ زِرِّ القميص، وتستعار العُرْوةُ لما يُوثَقُ به ويعوَّلُ عليه . يريد أنهم عَطَّلوا حدودَ الإسلام وأحكامَهُ و لم يُقيمُوها.

(١١) أنغلَ الشيءَ : أفسده .

المؤمنينَ معاويةُ فدامَجهم[١] فلَم يَصْلُحوا عليه. وَوليهم رجلُ الناسِ[٢] جلـــداً، فبَســـط عليهم السَّيفَ وأخافَهم، فاستقاموا له أحبُّوا أوكرهوا، وذلك أنه خَبرَهم وعَرفَهم.

أيُّها الناسُ، إنا واللهِ ما رأينا شِعاراً[٣] قطُّ مثلَ الأمْنِ، ولا رأينا جِلساً[٤] قطُّ شـــرًّا من الخَوْف. فالزَموا الطاعة، فإنّ عندي يا أهلَ المدينة خِيرةً[٥] من الخلاف. واللهِ ما أنتم بأصحاب قتال، فكونوا من أحْلاس بيُوتكم[٦]، وعضُّوا على النَّواجذ[٧]، فإني قد بَعَثْتُ في مجالسكم مَن يَسمَعُ فيبلِّغني عنكم. إنكم في فُضُولِ كلامٍ غيرُهُ[٨] ألزَمُ لكم[٩]، فَدعُوا عيبَ الوُلاة، فإنّ الأمر إنما يُنْقَضُ شيئاً شيئاً حتى تكونَ الفتنةُ، وإنّ الفتنة من البـــلاء، والفِتَن تذهبُ بالدِّينِ وبالمالِ والوَلَدِ».

---

(١) دامجهم : داراهم . والمُدَامجة مثل المُدَاجاة، ويقال : دَاجَى الرَّجُلَ: أي: ساترَهُ بالعداوة وأخفاها عنه.

(٢) رجل الناس جلداً : يريد الحجاج بن يوسف، وأنه كان أكملَ الرجال وأوْحَدهم في القوة والشدة والصَّلابة والصبر .

(٣) الشِّعار : ما وَلِيَ شَعَرَ جَسَدِ الإنسان دونَ ما سواه من الثياب. وفي المثل : « هو الشعارُ دون الدِّثار» . الدثار : ما يُلْبَـــسُ فوقَ الشعار. يُضرَبُ للمُختَصِّ بك العالم بدَخلَة أمْرك . (مجمع الأمثال ٣ : ٤٩٣).

وقال ابن منظور : في المَثَل: « هم الشِّعارُ دون الدِّثار » . يَصِفُهم بالمودّة والقُرب . وفي حديث الأنصار: «وأنتم الشِّعار والناسُ الدِّثارُ». أي: أنتم الخاصة والبطانة . والمراد الأُلْفَةُ والمَحَبَّةُ .

(٤) الجِلْسُ : كل شيءٍ وَلِيَ ظهرَ البعير والدابة تحت الرَّحْل والقَتَب والسَّرْج . وفي حديث الفتن عدَّ منها فتنَة الأحْـــلاس. شبَّه الفتنَ بالأحْلاس لِلزُومها ودَوَامها. والمراد الفُرْقَةُ والعَدَاوةُ .

(٥) خيرة من الخلاف: أي ما أختارُهُ عليه، أي أُفَضِّلُه.

(٦) جِلْسُ البَيْت: البِسَاطُ الذي يُبْسطُ تَحْتَ حُرِّ المتاع وفَاخره من مِسْحٍ أي: كساءٍ من شَعَرٍ، وغيره. يقال: فـــلانٌ جِلْسٌ من أحلاس البيت : للذي أنه لا يَبْرَحُ البيتَ على المثل، وهو عندهم ذم، أي أنه لا يَصْلح إلا للزُوم البيت .

(٧) عَضُّوا على النَّواجذ : النَّواجذ : أقْصى الأضْرَاس وأواخرها، أي: اصْبِرُوا وتصَلَّبُوا في الأمور.

(٨) الفُضُول : جمع فَضْل، وهو الزيادة في الكلام مما لا قيمة له ولا حاجة إليه .

(٩) ألزم لكم : أجْدَرُ بكُم .

٨ ـ خُطبَةٌ لِعَديِّ بن أرْطاةَ الفَزاريِّ بالبَصْرةِ

أنساب الأشراف ٨: ٢٠٦

«ما أنا وهذه الشّهاداتُ! ما أنا وهذه الخُصومات[١]! فَتَحْتُ لكم بابي، وأجلستُ فيكم إياساً[٢]، ولا أراكم تَزْدَادونَ إلاّ كثرةً. لقد كنتُ أرَى القاضي من قُضاة المسلمينَ وما عنده أحدٌ، ولقد أتيتُ شُريحاً[٣] فقلتُ: يا أبا أميةَ، أين أنت؟ قال: بينَك وبين الحائِط. قلت: إني تزوجتُ امرأة، قال : بالرِّفاءِ[٤] والبنين. قلت: ولدتْ غلاماً . قال: ليهْنِكَ[٥] الفارسُ. قلت: وشرطتُ[٦] لها دارها ثم بَدَا لي أن أُحَوِّلها إلى الشّامِ . قال: أنتَ أحقُّ بأهْلِكَ. قلت : فَأقْضِ. قال : قد فعلتُ».

٩ ـ خُطبَةٌ لِنَصْرِ بن سَيَّارٍ اللَّيْثيِّ بِمَرْوِ الشَّاهِجَانِ

تاريخ الرسل والملوك ٧: ١٧٣

والكامل في التاريخ ٥: ٢٣٦

غَزَا نَصْرُ بن سَيَّارٍ من بَلْخَ ما وَرَاءَ النَّهرِ من ناحيةِ بابِ الحديدِ، ثم قَفَلَ إلى مَرْوٍ، فخَطَبَ النَّاسَ، فقالَ:

---

(١) الخُصومات : جمع خصومة ، وهي المنازعة .

(٢) هو القاضي إياس بن معاوية بن قرة المزني، يضرب به المثل في الذكاء والدهاء، والسؤدد والعقل. ولاه عمرُ بن عبد العزيز قضاء البصرة . ومات سنة إحدى وعشرين ومائة. (المعارف ص: ٤٦٧، وحلية الأولياء ٣: ١٢٣، وطبقات الفقهاء ص: ٧٥، ووفيات الأعيان ١: ٢٤٧، وميزان الاعتدال١: ٢٨٣، وسير أعلام النبلاء ٥: ١٥٥، والبداية والنهاية في التاريخ ٩: ٣٣٠) .

(٣) هو القاضي شريح بن الحارث بن قيس الكندي، وَلاّه عمرُ بن الخطاب قضاء الكوفة ، فأقام على قضائها ستين عاماً، وقضى بالبصرة سنة، ومات سنة ثمان وسبعين. (المعارف ص:٤٦٠، وطبقات الفقهاء ص: ٨٠، ووفيات الأعيان ٢: ٤٦٠، وتاريخ الإسلام ٣: ١٦٠، وسير أعلام النبلاء ٤: ١٠٠، وتذكرة الحفاظ ١: ٢٥، والبداية والنهاية في التاريخ ٩: ٢٢).

(٤) بالرِّفاء والبنين: أي: بالالتئام والاتفاق وحسن الاجتماع والبركة والنماء .

(٥) هَنَأهُ بالأمر وَهَنَّأه: قال له : لِيَهْنِك. والعرب تقول: لِيَهْنِئْك الفارس بجزم الهمزة، ولِيَهْنِيكَ الفارس بياءٍ ساكنةٍ، ولا يجوز لِيَهْنِك كما تقول العامة. (اللسان: هنأ) .

(٦) شَرَط لَها دَارَها : أعْلَمَ حُدودَها ، أي وضع عليها علامةً تُعْرَفُ بها .

« ألاَ إنَّ بَهْرَامْسِيسَ كانَ مانحَ المجوس، يَمْنحُهُمْ ويَدْفَعُ عنهم، ويَحْمِلُ أثقالهم[١] على المسلمين. ألاَ إنَّ اشْبِدادَ بن جريجُورَ كان مانحَ النَّصارى. ألاَ إنَّ عُقَيْبَةَ اليهوديَّ كان مانحَ اليهودِ يفعل ذلك. ألا إنّي مانحُ المسلمين، أمْنَحُهُمْ وأدفعُ عنهم، وأحملُ أثقالَهم على المشركين. ألاَ إنَّه لا يُقْبَلُ مني إلا تَوَفّيَ الخراجِ[٢] على ما كُتِبَ ورُفِع. وقد استعملتُ عليكم منصورَ بن عمرَ بن أبي الخَرْقاء، وأمرتُه بالعدلِ عليكم. فأيُّما رجلٍ منكم من المسلمينَ كان يُؤْخَذُ منه جزيةٌ من رأسه، أو ثُقّلَ عليه في خراجه، وخفّفَ مثل ذلك عن المشركينَ، فليرفعْ ذلك إلى المنصورِ بنِ عمرَ، يحوّلُه عن المسلمِ إلى المشركِ».

١٠ ــ خُطبَةٌ ليوسُفَ بنِ عُمرَ الثَّقفيِّ بالكُوفةِ بعدَ مَقْتلِ زَيدِ بنِ عليٍّ

تاريخ الرسل والملوك ٧ : ١٩١

والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٣٣١

لَمّا قَتَلَ يُوسُفُ بنُ عُمَرَ زَيْدَ بنَ عليٍّ أقبَلَ حتى دَخَلَ الكوفةَ، فَصَعِدَ المنبرَ، فقال:

«يَاأهلَ المدَرةِ[٣] الخبيثةِ ، إنّي واللهِ ما تُقْرَنُ بي الصَّعْبَةُ[٤]، ولا يُقَعْقَعُ لي بالشِّنانِ[٥]، ولا أخَوّفُ بالذِّئبِ[٦]. هيهات! حُبِيتُ[٧] بالسَّاعدِ الأشدِّ. أبشرُوا يا أهلَ الكوفةِ

---

(١) الأثقال : جمع ثِقْلٍ ، وهو الحِمْلُ الثقيلُ .

(٢) تَوَفّى الخراجَ منهم : لم يَدَعْ منه شيئاً، أي: أخَذَهُ منهم كاملاً غيرَ منقوصٍ .

(٣) المَدَرةُ: القَرْيةُ السَّبَخِيَّةُ بالطِّين واللِّين، وكذلك المدينة الضخمة .

(٤) في المثل: « ما تُقْرَنُ بفلان صَعْبَةٌ» : أصلُهُ أنّ الناقة الصَّعبةَ تُقْتَرنُ بالجملِ الذَّلول ليُرَوِّضَها ويُذَلِّلها. أي أنه أكرمُ وأجلُّ من أنْ يُستعمَلَ بكلف تذليلَ الصَّعْب كما يُكَلَّفُ ذلك الفَحْلُ. يُضْرَبُ لمن يَذِلُّ مَنْ ناواه . (مجمع الأمثال ٣ : ٢٣٩) .

(٥) في المثل: « فلان لا يُقَعْقَعُ له بالشِّنان»: الشِّنان : جمع شَنٍّ وشَنَّة، وهي القربة البالية اليابسة . أي: لا يُخْدَعُ ولا يُرَوَّعُ ، وأصلُهُ من تَحْريك الجِلْد اليَابسِ للبعير ليفزع . (اللسان : قعع) .

(٦) لا أخَوِّفُ بالذِّئب : يريد أنه حَذِرٌ مُحْتاطٌ مُتَحرِّزٌ .وذُئبَ الرَّجلُ: فَزِعَ من الذئب، ورجل مذؤوبٌ: فَزِعتْه الذِّئابُ.

(٧) حَبَاهُ الشيءَ وحَبَاهُ به: أعْطاه إياه.

بالصَّغارِ[١] والهوان، لا عطاءَ لكم[٢] عندَنا ولا رِزْق[٣]. ولقد هَمَمْتُ أن أخَرِّبَ بلادَكم ودورَكم ، وأحْرِمَكم أموالكم. أمَا والله ما علوتُ مِنبري إلاَّ أسمعتُكم ما تكرهُون عليه، فإنكم أهلُ بَغْي وخلافٍ، ما منكم إلاَّ مَن حارَب الله ورسولَهُ، إلاَّ حكيمَ بنَ شريكٍ المحاربيَّ. ولقد سألتُ أميرَ المؤمنينَ أنْ يأذنَ لي فيكم، ولو أذِن لقتلتُ مُقاتلتكم، وَسَبَيْتُ ذَراريَّكُمْ» !

(١) الصغار : الذل .

(٢) العطاء: المُرتَّبُ من الدَّنانير والدَّراهم .

(٣) الرِّزق : الحِنطة وغيرها من الحُبُوب .